صـــور ووجـــوه

في قلـب معركـة تلمسـان

صـــور ووجـــوه

في قلـب معركـة تلمسـان

نصـــوص أحمـــد بجـــاوي

رســـــوم دونيـــس مارتينـــاز

ترجمـــة جنـــاح مسعـــــود

تصـــوير أحمد بجـــاوي ودونيـــس مارتينـــاز

منشورات الشهاب

أود أن أشكر :

السيدة خليدة تومي وزيرة الثقافة ،
السيدة زهيرة ياحي ،
السيد رشيد حاج ناصر وفريق تظاهرة (تلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية 2011) ،
وكذلك : دونيس مارتيناز ،
أخي محمد (سي صابري) ،
السيدان : بومدين الوشدي المدعو عبد الرزاق ، وعبد القادر قروج المدعو جيلالي ،
أحفادي (محمد ومصطفى بن عمار) ،
جميع سكان تلمسان الذين دعموني بحزم في تلك الفترة أثناء تصوير هذا الفيلم ،
ليث ميديا ،

. . وزوجتي التي بدون مثابرتها ما كان لهذا العمل أن يرى النور .

© **منشورات الشهاب ، الجزائر** 2016

إلى روح الفقيد بوبكر بلقايد الذي أدين له بالكثير ولزوجته.

مقدمـــــــــــــة

يعتمد هذا الكتاب أساسا على التعاون بين سينمائيّ ورسام في نهاية الستينات .

ويتعلق الأمر أيضا بلقاء بين رجلين وحرفتين وثيقتَي الصلة بالثقافة ، حول مشروع . وبنظرة تكاملية لثورتنا الفتية انطلاقا من عمل خيالي . وكان اهتمامنا ينصب أساسا على تكريم جميع المقاومين الجزائريين ، أكثر من الالتصاق بالواقع .

ففي جوان 1965 ، أنهيت دراستي في المعهد العالي للدراسات في السينما وعدت إلى الجزائر حاملا شهادة منتج – مخرج . وبعد بضعة أيام وعلى إثر مقابلة مع محيي الدين موساوي المدير العام للمركز الوطني للسينما[1] آنذاك ، قررت الالتحاق بالمجموعة الفنية لمكتبة السينما التي كان على رأسها أحمد حسين وكانت تحت رعاية جان ميشال أرنولد . وهكذا كنت أوزع وقتي بين مكتبة السينما حيث تعلمت الكثير وجريدة المجاهد (التي كان يديرها محمد بورغدة في ذلك الوقت) ، وبين الإذاعة حيث أقوم بتنشيط حصة أسبوعية حول السينما مع صديقي القديم سليم رياض . لكنني كنت أرغب أيضا في الإنتاج والإخراج .

وفي السنة الموالية ، تم حل المركز الوطني للسينما ليتم تعويضه بالديوان الوطني للتجارة والصناعة السينماتوغرافية ، واقتصر المركز الجزائري للسينما على احتضان مكتبة السينما الجزائرية ، بينما تولى محمد الأخضر حامينا إدارة ديوان الأحداث الجزائرية OAA

ففي تلك الفترة ، كان هناك سينمائيون متمرسون تعلموا في مدرسة سينما الجبال ، وتم تكوين صغار السينمائيين مثلي بعد الاستقلال . وكانت تُمنح لهؤلاء الشباب من حين

1 – تمّ حل المركز الوطني للسينما في عام 1967 وحلّت محلّه ثلاث وكالات هي : LE CAC l'ONCIC, l'OAA. (م ج س) (د و ت ص س) (م و س)

لآخر إمكانية إنجاز أفلام ذات طبيعة هزلية ، وذلك بمناسبة الاحتفالات المرتبطة بالثورة المسلحة عموما . وهكذا وضمن هذا السياق ، قررت المشاركة في العام 1967 في ذلك الفيلم الجماعي تحت عنوان حكايات من تاريخ الثورة . وكان يجب أن يكون هذا العمل – في الأصل – ضمن فيلم طويل شارك فيه زميلان وصديقان لي وهما رابح لعراجي بفيلم القنبلة وسيد علي مازيف بـفيلم المبعوث . لقد اخترت بكل حرية استلهام واقعة الدورية المزيفة ، الواقعة التي رسخت في ذهن الجزائريين وقوات الاحتلال في سنة 1956 بتلمسان .

لقد ألهم ذاكرتي هذا الحدث الكبير كمراهق وترك آثارا يتعذر محوها .

ففي تلك الفترة ، أبهرتني جرأة الزملاء الذين يفوقونني سنا في ثانوية سالان وجعلوني أحلم . إنه جيل كامل من الشباب المناضل الذي يكبرني بعدة سنوات ، تحمل مسؤولياته التاريخية فكل الذين عرفتهم في الثانوية كانوا متعلمين ويملكون تكوينا سياسيا ورثوه عن رواد الحركة الوطنية إلى غاية نداء جبهة التحرير الوطني في الفاتح من نوفمبر 1954 . لقد قابلت العديد من الشهود الأحياء الذين عايشوا العملية ، وكنت عندما كتبت السيناريو ، أتمنى قبل كل شيء الحفاظ على العلاقة السحرية مع خيالي كطفل وعدم التنازل أو الانصياع أمام إغراء الدقة التاريخية . وهكذا توجهت صوب بناء الشخصيات المنبثقة من خيالي ، شخصيات تقوم بنفس الصنف من المهام . لقد أردت أن تكون هذه الشخصيات مستوحاة من الواقع و تعبر عنه بطريقة رمزية عن رجال ونساء يمثلون الجزائر برمتها . فمن المعلوم أن هذا العمل كان مخططا من طرف العقيد لطفي ذلك الرجل الذائع الصيت الذي لا يذكر بالاسم على الإطلاق في السيناريو . ومع ذلك فهو إشادة وتكريم انفعالي ومثير نحو الرجل اللامع والعسكري الاستراتيجي والعبقري الذي كان . لقد حملت إحدى شخصيات الفيلم اسم لطفي ، لكنه لا يمثل في جميع الحالات ذلك الذي كان معروفا آنذاك تحت اسم سي براهيم ، ويتعلق الأمر في الواقع بمجرد طرفة عين . وكان جميع المشاركين الحقيقيين في الدورية المزيفة ينتمون بلا شك إلى المنظمة المدنية بتلمسان التي كان يقودها سي إبراهيم ، والذين كانوا يقيمون في مخابئ على أطراف المدينة . لقد كان هدف المجموعة بلا شك هو تطوير ميدان معركة حضرية

حقيقية في نفس المكان من أجل تتبيث العدو . وكان أعضاء مجموعة الكوماندوس وراء أغلب العمليات الفدائية ، وقد بقوا على قيد الحياة . وبما أنهم نجوا جميعا في الهجوم على "بيت الشباب"[1] ، في حين نجد في سردي سقوطَ مجاهدين في ميدان الشرف . لقد اخترت على العكس استقدامهم من الجبال ، ليس لأسباب فنية محضة ، لكن من أجل إظهار العلاقة بين المدينة والجبل . لقد تحققت الثورة بثمن الكثير من التضحيات البشرية وكنت أرغب أن لا يكون هذا العمل حلقة مجيدة بلا شك ، بل أن يكون عملا وطنيا على درجة كبيرة من الرمزية لكفاح جميع الشعب الجزائري على مجمل التراب الوطني الذي تم احتلاله بغير وجه حق . وهكذا ، لم يكن أعضاء الكوماندوس جميعهم من تلمسان ، فبعض منهم من قدامى الهند الصينية ، تم اختيارهم من أجل ماضيهم النضالي ، ولكن أيضا من أجل تجربتهم في الكفاح وحرب العصابات . لقد قمت طواعية بتغيير أسماء المحتشدات التي فروا منها بفضل الاتصالات التي كانت لهم مع التنظيم المدني من أجل أن يحافظ الخيال على طابعه .

لقد أردت بالفعل سرد روح ما يتعين أن نسميه بمعركة تلمسان 1955-1956 بدون البحث عن متابعة الأحداث بحذافيرها . . وعليه ، لقد اخترت طريقة السرد الحر المستوحى من عملية عسكرية جريئة تخصيصا والتي قام بجزء منها أشخاص على غرار سي عبد الرزاق[2] الذي كنت قد عرفته عندما دخلت إلى الثانوية بينما كان يستعد للصعود إلى الجبل ، ولو أنني علمت متأخرا بالتفاصيل المتعلقة بشجاعتهم النادرة .

لقد منحت لأصغر الشخصيات في الفيلم اسم صابري ، الاسم الذي حمله أخي الأكبر في الجبل الذي التحق به في 1957 في نهاية معركة تلمسان . لقد تمت استعارة اسم زينب من ابنة عمي الشقيق التي تم توقيفها وتعذيبها من طرف الجيش الفرنسي في تلمسان . وأنا أكتب هذا السيناريو ، لم أكن أرغب في الانفصال عن الخيط السحري لنظرة المراهق .

لقد دفعتني هذه الرغبة في الحفاظ على حقيقتي ، إلى تفادي معالجة العملية من خلال التقيد الصارم بالحقيقة التاريخية . فقد كان الممثل المحترف الوحيد في الفيلم ، هو محمد

1 – هجوم على مطعم ضباط الجيش الاستعماري .أو (ماس ضباط الجيش الإستعماري)

2 – الاسم الثوري لبومدين الوشدي .

شقراني ، ولقد لعب الدور الرئيس المتمثل في قائد الدورية . أما بقية الممثلين فهم من الهواة تم توظيفهم في تلمسان والجزائر العاصمة .

لقد ذهبت لمقابلة صديقي دونيس مارتيناز لكي أطلب منه التكفل بديكورات الفيلم ، وبنفس المناسبة وافق على القيام بتمثيل أحد الأدوار ضمن منظورنا للدورية المزيفة ، وهكذا توجهنا معا مرتين (في 1968 و 1969) في مهمة إلى تلمسان لتعيين الأماكن وذلك قبل الشروع في التصوير . وبهذه المناسبات ، أنجز دونيس بداية القصة المصورة وذلك برسم مخططات السيناريو وكذا شخصيات الفيلم بموهبته الكبيرة التي يُعرف بها . لقد أخرج حوالي أربعين لوحة أصلية ، لم يعرضها عليّ إطلاقا منذ ذلك الحين ، والتي اكتشفها دونيس مارتيناز شخصيا في 2011 . لقد اقترحت عليه عندئذ بمناسبة تظاهرة تلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية إعادة كتابة الحوار (بدلا من سيناريو التصوير) وذلك انطلاقا من رسوماته وصور تلك الفترة وذلك بإرفاق الكل بشهادتينا . وكنت قد اكتشفت في عام 1968 عندما انتهيت من كتابة السيناريو ، أن مدته تتجاوز الوقت المخصص له في الفيلم من ثلاثة جوانب ؛ مما حملني على اختصاره . ويمنحني هذا الكتاب الفرصة للعودة إلى المعالجة الأصلية التي تقترب أكثر من استمرارية سردية قريبة من مدة فيلم طويل . غير أنه لم يتم الانتهاء من الفيلم على الإطلاق باستثناء تصوير أجزاء منه . ففي 1969 وفي تلمسان حيث ذهبنا ومعنا ثلث الفيلم الإيجابي وثلث مخصصات الإنتاج ، وبعد نفاد المخصصات ، تلقينا زيارة مدير الإنتاج الذي طلب من الفريق التقني الدخول إلى الجزائر مع كل العتاد . لقد شرح لنا أن جميع الوسائل البشرية والمادية للديوان الوطني للتجارة والصناعة السينماتوغرافية سيتم تجنيدها من أجل تصوير فيلم كبير كان سيتم إنجازه من طرف مديره العام .

لقد كانت خيبة كبيرة وخاصة للممثلين الهواة الذين اقترحوا التنازل عن أجورهم من أجل أن تصل المغامرة إلى نهايتها . لكن ما العمل بدون الفيلم الإيجابي والعتاد ؟ لقد شرعت في عملية تركيب مرتجل (مؤقت) غير أن المشروع كان قد تعرض للبتر والتشويه .

وعندما توفرت الشروط من جديد بعد سنتين ، كان الكوميديون قد تبعثروا وتلاشت رغبتهم في العمل أكثر . لقد كانت نهاية مغامرتي كمخرج . ومهما يكن ، لقد كانت

سنة 1969 غنية على وجه الخصوص ؛ ففي شهر جويلية شاركت بنشاط مع مكتبة الأفلام في المهرجان الثقافي الإفريقي الأول ، وبعد عدة أشهر لاحقا ، بدأت حياة جديدة مع الإذاعة والتلفزة الجزائرية بإنتاج وتنشيط حصة حول السينما (نادي السينما) ، ثم في وقت لاحق كمسئول لدائرة الإنتاج حيث كان لي الحظ في إنتاج عشرات الأفلام الطويلة مع مخرجين من ذوي المواهب الكبيرة . لقد واصلت في خدمة السينما والجمهور الجزائري بقدر ما استطعت .

أحمد بجاوي

فنـــــان تشكيلي في فيـــلم

محادثات بين أحمد بجاوي ودونيس مارتيناز

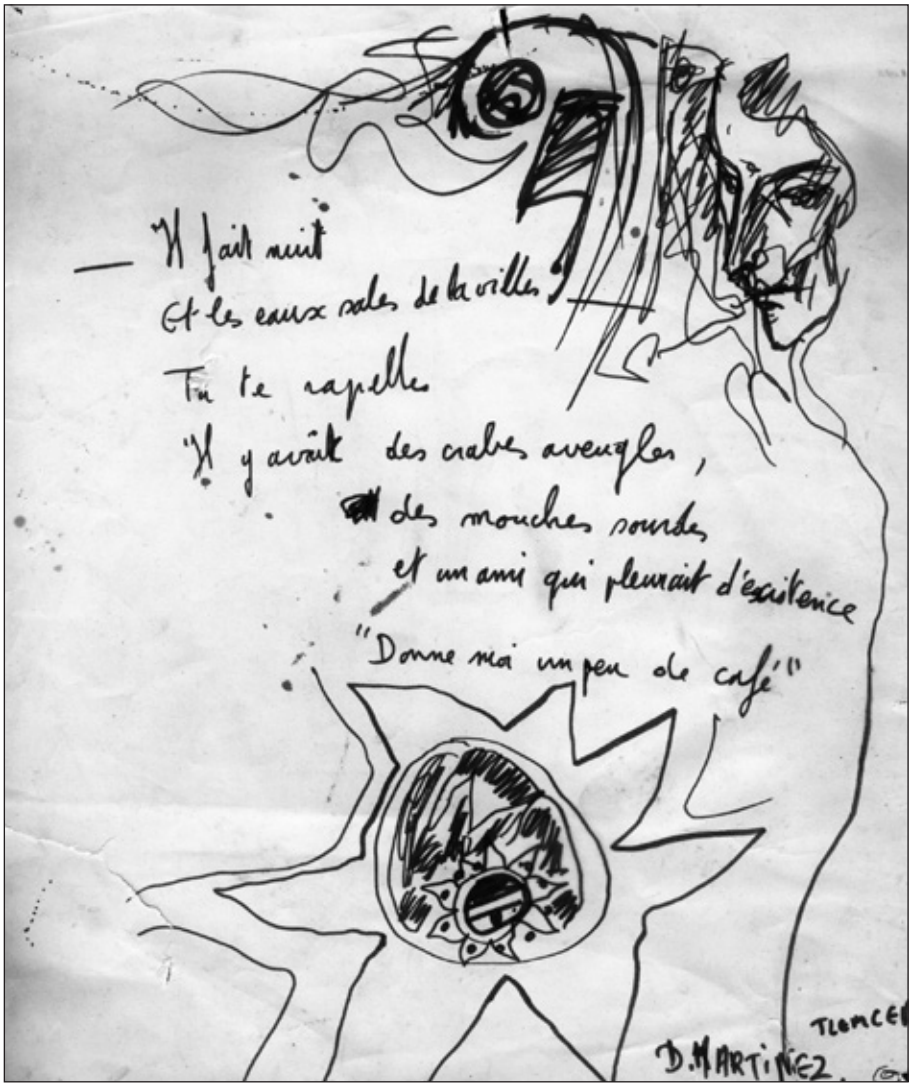

— Il fait nuit
Et les eaux sales de la villes
Tu te rapelles
Il y avait des crabes aveugles,
des mouches sourdes
et un ami qui pleurait d'escitence
"Donne moi un peu de café"
TLEMCEN
D.MARTINEZ

فنـــــان تشكيلي في فيـــلم

محـــادثات بين أحمد بجاوي ودونيس مارتيناز

نحن في المنـزل العائلي الصغير لـدونيس مارتيناز في البليدة حيث يقيم منذ 1963 ، ويواصل العمل . وبطريقة لا تخلو من الفخر ، قادنا في زيارة إلى حديقته حيث تتجاور الورود إلى جانب أشجار الليمون والزعرور التي نضجت ثمارها في هذه الفترة من السنة .

وبعد هذه الجولة القريبة جدا من سحر الطبيعة ، كان في انتظارنا شكل آخر من الانفعالات ابتداء من مدخل باب ورشته . فقد هاجمتني فجأة صور تعود إلى سنوات الستينيات عندما كنت أمر في طريق العودة من جبال الشريعة في غالب الأحيان لزيارة دونيس في هذه الورشة الأسطورية .

لقد كانت هناك رسومات على الجدران لم أشاهدها منذ عقود وكذا آثار أحداث ثقافية تذكّر بلا تسلسل بنادي السينما للبليدة حيث كنت قد جئت لتقديم مدعوين لمتحف السينما الجزائرية وملصقات عروض لتلك الفترة وخاصة لوحات بقيت محفورة في ذاكرتي مثل صور لصيقة ومرتبطة بحركة أوشم[1] ، التي ساهم في إطلاقها في تلك الفترة إلى جانب شكري مسلي وآخرين .

لقد وجدت نفسي على الفور أعود إلى الوراء بأربعين عاما إلى تلك الفترة حيث جئت لأقترح على دونيس مارتيناز مساعدتي على تحضير فيلم ، كنت أرغب ، ليس فقط في تكفله بالديكور ووضع مخطط السيناريو ، بل وحتى أداء دور أحد الممثلين الرئيسيين .

لقد جمعتنا أكثر من مقابلة بل محادثة مفتوحة حول ذكريات تستدعي أخرى .

1 – قراءة بيان مجموعة أوشم في الأماكن العامة في يوم من أيام أفريل 1967 ، وافتتح بنفخة بوق حقيقية : « أوشم ولدت منذ آلاف السنين على جدران كهف من الطاسيلي » .

لقد حاولت أن أترك الكلمة إلى دونيس مارتيناز بلا حدود ، غير أن الحماس كان أقوى في بعض الأحيان . لقد كنا نجد بالتأكيد ما نعيد حكايته ، غير أن سمة الذكريات كانت الغالبة وبالتالي تركت له الكلمة .

السياق الثقافي في سنوات الستينيات

دونيس مارتيناز : أتذكر تلك المغامرة في تلمسان من أجل تصوير فيلمك ، الفدائيون ، لقد بدأ كل شيء في 1968 ، عندها كنا شبابا نغلي بالأفكار ، ففي تلك الفترة ، كانت تسود حالة خاصة من الابتهاج .

وكانت الجزائر قد تحررت للتو وكنا نمتلئ أحلاما بالمستقبل ، أحلام عريضة نريد من خلالها عمل الكثير من الأشياء ووضع الثقافة في قلب طموحاتنا الأكثر مجونا .

لقد كنا نسبح في مناخ من الامتلاء الفكري والفني لا يوصف . لست أدري ما إذا كان ذلك بسبب كون عدد المثقفين والفنانين أقل عددا عنه اليوم ،لكننا كنا نتعارف جميعا فيما بيننا . كنا نلتقي وكانت لنا سهولة في العمل معا في مختلف القطاعات الثقافية .

لدي انطباع أن مثل ذلك الجو أقل حضورا في أيامنا هذه ، فالرسامون رسامون ، والسينمائيون سينمائيون ، لقد أصبحنا أكثر انفصالا والاتصالات أكثر ندرة . لقد استمر هذا الوضع من الاستقلال إلى نهاية السبعينات وهي السنوات الأكثر زخما وكثافة ، إنها السنوات الأولى لسبب بسيط ، حيث كان يجب القيام بكل شيء ، وأن كل من كانوا في ميدان الإبداع سواء في ميدان المسرح أو الكتابة أو السينما أو الرسم... إلخ ، كانوا يتواصلون على الدوام وكنا نتقابل بدون انقطاع . فهناك الأجيال القديمة والجديدة التي كان يجمعها نفس الهدف المتمثل في جعل الجزائر بلدا جميلا في جميع الميادين ، كان ذلك هدفنا ، ولم يكن لنا مخطط مسار مهني شخصي ، بل كنا نحلم من أجل الجزائر .

فمن بين القدامى في ميدان الرسم ، كان هناك خدّة ، وإسياخم ، ومسلي ، وعلي خوجة . لقد كانوا من الرسامين الأفذاذ . وحتى لو كانت هناك أحيانا بعض الخلافات

فيما بيننا ، فلم تكن من أجل مشاكل مزيفة ، بل كانت تدخل ضمن مشمولات النقاش الفني والسياسي ، كانت من أجل أن نتقدم ، لكنها لم تكن لتبعدنا الواحد عن الآخر . لقد كنت من بين الأصغر سنا . ففي 1962 كنت أبلغ 21 سنة من العمر ، وكنا نرى ، في خدة الذي وصل للتو من باريس بعد تجربة كبيرة ، وفي مسلي والآخرين الذين تحيط بهم هالة من الشهرة الكبيرة ، أشخاصا أثبتوا جدارتهم . فقد تخرج شكري مسلي من مدرسة الفنون الجميلة في باريس قبلي ، وعندما أسسنا مجموعة "أوشم" معا ، كانت هناك لحظة خصام بين الرسامين التشكيليين ، لكنه خصام في جوّ لا يمكن تخيله ، جو من النقاش ، ولم تكن هناك حرب كلامية ولا مجابهات وحتى أثناء الصدامات ، كانت في محلها .

لقد كنا نذهب إلى المسرح ونساند عبد الرحمن كاكي من مستغانم ، وكان لدينا عبد القادر علولة وحاج عمر وغيرهم ممن لا تحضرني أسماؤهم في هذه اللحظة . لكن بالنسبة لي ، فإن الذكرى الأكثر تأثيرا لتلك الفترة هي ذلك التلاحم في الأفكار وتبادل الآراء . ففي تلك الفترة ، نظم محمد بودية[1] – رحمة الله عليه – القطار الثقافي ، لقد شكل قطارا ثقافيا حقيقيا ، قطار خصصه للفنانين دون غيرهم ، قطار كان يعبر البلد من الجزائر إلى غاية وهران وعلى متنه 200 فنان ، فهل تتصور هذا ؟

فقد كنا نجد على متنه العنقاء وفرقته كاملة ، محمد بهاز ، شقيق معلم بن عيسى الذي كان رفقة باليه المنار . لقد كان محمد بهاز وهو من البليدة ، قارعا على الآلات الإيقاعية ، وهو من أول من أطلق رقصة القناوة في البالي الوطني . وكان هناك أيضا شخص لا يحضرني اسمه ، إنه شقيق ذلك الشخص الذي كان يتولى رعاية الأطفال المشردين ، إنه تيدافي نور الدين ، تيدافي الذي كان شاعرا . إنني لا أعرف من هم بقية الشعراء والكتاب الذين كانوا يتواجدون على متن ذلك القطار ، ولكن لدي صورة لتلك الفترة حيث نشاهد الشباب وهم يلعبون ويرقصون . إنه جو من المرح البهيج . توقف القطار في شوارع الأصنام وهو في طريقه ، حيث نزلنا وتم استقبالنا من طرف سكان المدينة ، وكنا قد وصلنا في الصباح قادمين من وهران حيث قدّمنا عرضا في المسرح الجهوي لوهران وقمنا بناء على دعوة بزيارة إلى مقر الإذاعة وأماكن أخرى ، وكان هذا

1 – محمد بودية أنشأ وسيّر المسرح الوطني الجزائري (TNA) حتى الاستقلال، و من المحتمل أن يكون قد اغتيل في فرنسا في 28 جوان 1973 على أعقاب هجوم قامت به القوات الإسرائيلية.

الشباب الفنانون من المسرح الوطني الجزائري المشاركون في القطار الثقافي .

من اليسار إلى اليمين : جي بي سعيد ، محمد خدة ، دونيس مارتيناز

القطار عبارة عن مركز للحياة الثقافية للجزائر الجديدة ، يمثل عن جدارة هذا التناضح بين المبدعين والرسامين والشعراء ، والرسامون يجسدون أعمال الشعراء . لقد أتيحت لي الفرصة أن أعمل كثيرا مع جان سيناك خلال تلك الفترة ، ثم تم إطلاق المنشورات الأولى للمؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع . فقد أصبح أحمد بجاوي هذا الأثري ، المدير العام للمؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع لاحقا . وكان رشيد بوجدرة أحد الأوائل الذين طبعت أعماله ، وكان محمد خدة من قام بتصميم غلاف أولى نصوصه . ثم الشاعر أحمد أزقاح ، الشاعر والصحفي الذي قمت بتصميم أغلفة أعماله ، ولكل حرفته . إنه لصحيح أن الكتّاب والرسامين يعملون كثيرا معا .

متحف السينما في قلب العاصمة

دونيس مارتيناز (يواصل الحديث) : ثم كان هناك متحف السينما التي لعبت ابتداء من 1965 دورا كبيرا . لقد كانت السينما في النادي الكائن في شارع ديزلي سابقا الذي أصبح شارع العربي بن مهيدي ، بالقرب من ساحة الأمير عبد القادر حاليا ، فلم يكن آنذاك هناك تمثال ، وحيث يوجد مقر جبهة التحرير الوطني بالقرب من هذه الساحة . فقد كان متحف السينما أيضا بمثابة المكان الذي يلتقي فيه جميع أهل الفن الذين تجسد نقاشاتهم التعاون الحقيقي بين مختلف الفنانين الجزائريين . ولدى الخروج من الجلسات ، كنا نذهب لتناول الطعام في مقهى ومطعم نوفلتي أو ميلك بار . وكان هذا الأخير هو الآخر من الأماكن التي كنا نرغب في الالتقاء فيها . ففي المساء يلتقي جميع الفنانين الذين يخرجون من متحف السينما في هذا المقهى . إنني أتذكر دانيال بوكمان ، وهو كاتب مسرحي وأحد أعمدة متحف السينما . لقد كان مثقفا ، رفض تلبية نداء الجيش الفرنسي وكان من الممتنعين ، فقد كان في الجزائر لحظة الاستقلال كونه لاجئا سياسيا ومبحوثا عنه . كان يدرس اللغة الفرنسية في ثانوية بوفاريك وفي الوقت نفسه يكتب نصوصا مسرحية . وأتذكر هنا مسرحية الفك الأسفل التي كتبها في إطار ورشة للكتابة التي شاركت فيها أنت أحمد بجاوي على ما أعتقد في مقهى نوفلتي حيث وجدنا أيضا الممثل الكبير محمد زينات . نعم ! محمد زينات...

دونیس مارتیناز و دانیال بوکمان واقفان

فمن نوفلتي مرورا بـميلك بار ،إلى غاية نادي عبد الرحمن طالب[1] ومقهى الفنون الأربعة ، وهو عبارة عن مضمار حيث كنا نجد في مساره ، سيرج ميشال ومحمد زينات صاحب العينين الصغيرتين المتلألئتين ،وكذا رونيه فوتيه الذي كان قد أطلق السينما الشعبية .

لقد انخرطت في وقت مبكر في حركة بوب وأنشأت فرع البليدة . فهنا في البليدة على سبيل المثال ، كان رئيس بلدية المدينة متطوعا على غرار الكثير من الناس في تلك الفترة . أتذكر أنه يدعى أحمد يحياوي ، كان كثير الاحتكاك بالشباب وكنا في حاجة إلى قاعة من أجل إطلاق هذه النوع من السينما . لقد منحنا قاعة وأعطى أمرا على أن تكون جميع العروض مجانية . وللذهاب لجلب الأفلام من العاصمة ، كنا نلجأ إلى وقف السيارات في الطريق... فهل تصدق فعلا أننا لم نكن نملك سيارات في تلك الفترة . إنه أحد القيمين على مركز السمعي البصري لبن عكنون ، يدعى مصطفى بليل ، رجل جد نحيف كان يشرف على السينما الشعبية ويزودنا بالأفلام . لقد كنا نستقبل في البليدة سينمائيين يأتون من الخارج ، من فرنسا وألمانيا وكوبا... إلخ ، كانوا يقومون بجولة على القاعات في البلاد من أجل عرض أفلامهم وكان يرافقهم رونيه فوتيه الذي كان رجلا رائعا . لقد كانوا من الرجال المشاهير ممن لديهم شغف ببلادنا وعلى استعداد لعمل كل شيء من أجل الحديث مع الجمهور . فمن الساحة الكبرى ، ترى الساحة المركزية للبليدة ، الساحة التي يطلق عليها عامة الناس اسم ساحة التوت ، كانت هناك قاعة مخصصة لنادي الصداقة الفرنسية – الجزائرية ، ينشطون فيها نادي السينما الذي يرتاده المتعاونون الفنيون ونبلاء المدينة وأعيانها .

وكان لنا نحن جمهور آخر ، يتكون على الخصوص من الشباب وكان شعارنا التربية من أجل تحرير العقول . وكانت الساحة في حد ذاتها بمثابة مركز ثقافي . وكانت بلدية البليدة تساند الجميع ، والمناخ الثقافي يختلف كثيرا عما هو عليه الآن ، حتى طلبة الثانوي لتلك الفترة كان لهم مستوى آخر . ففي الماضي كان الناس يذهبون إلى السينما ثلاثة أو أربعة مرات في الأسبوع ويعلمون كل شيء عن السينما .

ففي جميع العطل الأسبوعية كنا نذهب لمشاهدة فيلم مع الأصدقاء .

وفي البليدة ، أتذكر عندما فتحنا أول مركز ثقافي شعبي في مقر حانة قديمة تقع على الساحة ، و كنا قد أنشأنا أيضا متحفا بتبرعات الناس ، فقد كان هناك عبد الرحمن

سينما البوب في البليدة

1 – اسم الطالب المعدوم بالمقصلة من طرف القوات الاستعمارية

النشاط الثقافي في البليدة

ساطوف الذي كان يمارس المسرح الهاوي ، وكان دحمان بن عاشور يأتي ليتدرب مع فرقته للموسيقى الأندلسية . لقد فتحت شخصيا ورشة للرسم لفائدة الأطفال ، كما كنت أقوم بتنظيم عروض وورشات في الجزائر العاصمة . كانت لنا قاعة للمحاضرات وكنا بالتالي نقوم باستقدام محاضرين ؛ استقبلنا مصطفى تومي الذي جاء ليتحدث إلينا في الموسيقى الأندلسية ولدي صور عن كل هذا ، تفضل بإلقاء نظرة عليها : اُنظر إلى هذه الصورة مع جمهور تلك الفترة حيث يمكننا التعرف على بوعلام عيساوي في سن صغيرة ، لقد عاش في البليدة ثم انتقل إلى الإقامة بالقرب من الدويرة . كما استقبلنا أيضا جاك سيناك الذي جاءنا ليقدم لنا قراءة شعرية رفقة رشيد بوجدرة ، وكذلك الهادي فليسي[1] وقدور محمصاجي[2] ، فلم تكن هناك حواجز وكنا نقوم بأشياء كثيرة معا والكل يتواصل مع الكل . وفي البليدة على سبيل المثال ، كان هناك وفد من الأطباء الكوبيين يعمل في المستشفى ، يتوافد كل مساء على ساحة البليدة حيث كنّا ننظم العروض التي تتخللها نقاشات ، ففي اليوم الذي ألقى فيه فيدال كاسترو خطابا لا أدري كم استغرق من الوقت ، استلموا شريطا يتضمن الخطاب قاموا بعرضه في ساحة البليدة عبر آلة لقراءة الأسطوانات... لقد أعجب الناس بكاسترو ولو أنهم لم يكونوا يفهمون ما يقوله لمدة ساعات . يجب القول أن الناس كانوا متسامحين وكانت هناك إرادة حسنة في كل مكان ، ففي مدرسة الفنون الجميلة وبمعية أشخاص على غرار مسلي ، كان هدفنا هو دعم دور الرسم وتمكيننا من وسائل تكوين المواهب الشابة ، وجميع من يمرون بورشاتنا ، كان يتعين علينا تلقينهم روح المسؤولية ووضعهم في مواجهة مسؤولياتهم .وكانت الأسئلة التي كنا نطرحها على أنفسنا وعلى الآخرين هي : ماذا يتعين القيام به أمام الحالة التي تعرفها البلاد ؟ وماذا يمكننا عمله بالنسبة للآخرين ولبلدنا ؟ وكنا ننتهي بتلقي إجابات .

تحضير الفيلم والاتصالات الأولية

إذن أنت مصمم على إنجاز هذا الفيلم حول الثورة ، أتذكر كيف بدأ كل شيء .

1 – طبيب وكاتب ، اغتيل من طرف الإرهاب الأصولي سنة 1993 .
2 – كاتب و مؤرخ

لقد كان أول اتصال لنا بهذا الخصوص عندما كنت بشارع باستور ، مقر الاتحاد الوطني الجزائري للفنون التشكيلية وفي قاعة العرض ، ولا أدري بأية مناسبة أو تظاهرة .

ربما كان ذلك بمناسبة عرض لحركة أوشم . لقد وصلتَ إلى هذه التظاهرة ، وهناك جئتَ لرؤيتي وبدأتَ في الحديث إليّ عن مشروعك لهذا الفيلم . لقد قلت لي إنك في حاجة إلى شخص لكي يتولى الاهتمام بالديكورات والقيام بوضع القصة المصورة ... إلخ وطلبت مني إذا كنت مهتما ، وعندها قلت لك نعم على الفور وبدون تفكير .

دونيس مارتيناز و بوعلام عيساوي

لقد كان ذلك في نهاية 1968 ، وعندها أعطيتني السيناريو للقراءة . لقد قررنا الذهاب معا إلى تلمسان للقيام بمعاينة أماكن التصوير في عين المكان . وفي جميع الحالات ، أتذكر أننا سافرنا برا ، كما أعتقد أننا استعملنا سيارتي رونو 4 .

كان رجل اتصالنا أستاذا في التاريخ من تلمسان ، هل تعلم أن صديقك الذي قضينا الليلة عنده ، كانت زوجته من أم فرنسية وأب جزائري مهاجر منذ زمن طويل ؟ كما أظن أن له طفلين صغيرين ، ويدعى ڤرموش ، مختار ڤرموش[1] ، كان يقيم في شارع التين في الجوار القريب لدار آل بجاوي في القلعة السفلى ، وأن الرجل وزوجته كانا مثقفين .

وهكذا عندما وصلنا ، ذهبنا إلى صديقك الآخر الذي يعمل في المحطة المحلية للإذاعة الوطنية ، لقد كانت هناك إذاعة في تلمسان ؟ أتذكر أن جميع المثقفين كانوا يتحدثون عن قصة تتعلق بمسجد تلمسان الذي شيّد بالرخام الأبيض الجميل والأصيل ، وحتى الإيطاليون كانوا في تلك الفترة يتسابقون من أجل الحصول على الرخام الأبيض... وبالفعل لقد تم طلاء هذا الرخام الأبيض بالرخام المزيف ، ألا تتذكر ذلك ؟ لقد تم طلاء أعمدة جامع تلمسان بالرخام المزيف ! لقد تسببت قضية الجامع الذي تم طلاؤه بالرخام الأبيض في فضيحة . إنه معلم تاريخي كبير بالنسبة للتلمسانيين . وكان مختار ڤرموش هو من تولى الرد على أمواج الإذاعة ، ثم ما اسم ذلك الرجل الذي كان يعمل بعد في الإذاعة ؟ إنه يشبه ذلك الأشقر في الفيلم ، أليس كذلك ، إنه هو بالذات . إنه الصحفي بن حبيب صاحب البشرة البيضاء الذي وظفته أنت لأداء دور في الفيلم .

أحمد بجاوي : لقد كان لكم عرض في المركز الثقافي الفرنسي لتلمسان . لقد عرضت اللوحة التي أسميها اللوحة الخرافية ، إنها رسم كبير على ستارة برتقالية . هل تتذكر تلك اللوحة ؟

لقد كانت في المركز الثقافي الفرنسي وقد مررنا بمحاذاتها ، لقد أسرتني هذه اللوحة . كانت موضوعة على مسند وراء الواجهة ولقد استوقفتَني و قلت لي : « هل تعجبك ؟ » .

1 – أستاذ التاريخ ومفكّر ، مختار ڤرموش توفي في أفريل 2011 .

الصورة : دونيس مارتيناز أمام إحدى لوحاته

لقد دخلت وقلت للمدير : « انزع اللوحة » ، وقد رد عليك : « أريد شراءها » ، وهنا كان ردك بلا غموض : « لقد وعدت بها صديقي »[1] .

دونيس مارتيناز : نعم ، إنه لصحيح ، إني لا أتذكر شيئا عن كل هذا ، ففي قاعة العرض للمركز الثقافي الفرنسي ، يبدو لي أن الأمر كان يتعلق بمعرض جماعي كنا قد نظمناه في الجزائر العاصمة خلال العام 1968 ، وتمت استضافته في عدة مراكز ثقافية فرنسية في المدن الداخلية ومن بينها تلمسان . وبالفعل ، فإن هذا العمل الفني المجسد على ستارة كنت قد نسيته تماما . لقد اعتقدت على الدوام أنني بعت لك لوحة أخرى أقدم منها وعنوانها "العازف على العود" والتي لا أملك غيرها . لقد تمت البرنقة على ما أعتقد قبل مناسبة التعرف على قرموش . لقد كان المركز الثقافي الفرنسي بالقرب من الساحة ، ساحة البلدية بالقرب من الجامع الصغير . وفي النهاية ، لقد ذهبت إلى تلمسان لسببين في الوقت نفسه : لأنني كنت بصدد التحضير للفيلم ، ثم بسبب هذا المعرض الذي كنت قد نسيته تماما .

معاينـــة الأمـــاكن

دونيس مارتيناز : لقد تجولنا في الأحياء القديمة لتلمسان وأحياء المعمرين المجاورة لها في تلك الفترة ، ثم تنقلنا في هذه الأحياء من أجل القيام بالمعاينات وتحديد مسار الدورية . وقد كنت أقوم بعد في عين المكان برسم مخططات المشاهد ، ثم بدأنا بعد ذلك في التفكير . فلا أتذكر ابتداء من أية لحظة شرعت في وضع خطة التصوير سواء في تلمسان أو عندما عدنا إلى الجزائر العاصمة ، كان ذلك قبل التصوير على العموم .

لقد قمنا بمعاينة أولية ثم ثانية حيث اتضحت الأمور . نعم ، ثم عدت إلى الجزائر العاصمة بعد ذلك لتحضير الإنتاج واستحضار الفريق . وعلاوة على ذلك ، كانت هناك بعد – على ما يبدو – مشاكل مع الديوان الوطني للتجارة والصناعة السينماتوغرافية ، وقد تركتني هناك في تلمسان . وفي الأخير ، وفي تلك الأثناء قمت بإعداد القصة المصورة وكنت أقيم عند أصدقائك وكنت أرسم كل يوم . لقد أظهرت بالتالي جميع الأماكن الممكنة للتصوير ، فكان هناك الممر المحروس وكذا مركز البريد . كنا نبحث عن ممر لعبور الدورية من أجل الوصول إلى ساحة الانتصارات ، وكان علينا القيام بدورة

1 – انظر تفاصيل اللوحة على غلاف الكتاب

كاملة من أجل الوصول وقت الفطور الذي كان على الخامسة والربع . وكان الفرنسيون قد عزموا على تنظيم احتفاليتهم في نادي الضباط في ذلك الوقت ، وبما أنهم كانوا قد فككوا شبكة الفدائيين ، كان رئيس هؤلاء يرغب في القيام بمناورة استعراضية للقوة . أذكر أنني كنت أحمل اسم لطفي في الفيلم .

أحمد بجاوي : نعم بالضبط ، أعتقد أنه العقيد لطفي الذائع الصيت الذي قام بتنظيم مجمل هذه العملية المثيرة من أجل التأثير في عقول هؤلاء وأولئك .

ويستلهم الفيلم بحرية من هذه القصة ، غير أنه لا يرويها كما وقعت بالضبط . إنه الخيال وليس التاريخ كون التاريخ من اختصاص المؤرخين .

وجوه الفيلم

دونيس مارتيناز : في تلمسان ، لم تكن هناك مشكلة في الحصول على الممثلين ، لقد كان هناك تدافع من أجل أداء دور في الجيش الفرنسي ، فقد جاء جميع ذوي البشرة البيضاء يقترحون أنفسهم من أجل أداء أدوار ، فقد كان هناك ذلك الرجل القوي ، تاجر من تلمسان الذي يقوم بدور الضابط والذي لا أتذكر اسمه وتم القضاء عليه في الفيلم بطبيعة الحال .

أحمد بجاوي : أعتقد أن الأمر يتعلق بمحمد علال والذي يدعوه الجميع بـ "حامي" ، إنه ڤرموش الذي تولى تنظيم الاتصالات لنا هو وعمر كرواتي الذي لعب دور "سعدان" الشاب السيئ سابقا .

دونيس مارتيناز : في المرة الأولى التي نزلنا فيها إلى تلمسان ، ذهبنا إلى المطعم رفقة تريكي ، ولا أعلم إذا كنت معك ، إنه شخص رائع هذا التريكي إلى جانب ڤرموش أيضا . لقد كان هناك شخص آخر حاضرا معنا جد معروف في تلمسان ، أو شيء من هذا القبيل ، والذي كان يدير متحف أو وراقة بالقرب من الساحة . وكان هناك أيضا الدكتور يادي الذي كان صديقا لـڤرموش ومالطي[1] ، إنه أستاذ للتربية الوطنية ، لقد كان رجلا من طراز رفيع ومن ذوي الرؤوس الكبيرة ... ياصاحبي !

أحمد بجاوي : إنها شلة التريكي ، وجميعهم من الرؤوس الكبيرة وعلى قدر كبير من التواضع والخدمة .

بخصـــــوص التحضيـــــــر

يستعرض دونيس مارتيناز الصور التي التقطها شخصيا أثناء إجراء المعاينات ولاحقا خلال التصوير ويظهر صورة لنصب تذكاري للقتلى أعيد بناؤه كما كان في العهد الاستعماري .

دونيس مارتيناز : لكن قل لي ، في أي مكان أنجزت النصب ؟

أحمد بجاوي : القاعدة كانت موجودة وصنعت أنت نسخة مطابقة للنصب .

دونيس مارتيناز : لكي أين صنعته وفي أي مكان ؟

أحمد بجاوي : لا أتذكر بالضبط ، ربما في أحد المرائب التي أعاروها لنا ، لقد أعدت تشكيل النصب بالشباك والجبس .

دونيس مارتيناز : نعم ، النسخة صنعت من الشباك وأطرافها من الخشب وورق الجرائد الذي غلفت به الشباك .

أحمد بجاوي : ثم أحطت القاعدة بالخشب المعاكس بحيث يتكون لدينا انطباع ونحن نشاهده من بعيد أن نصب الفترة الاستعمارية قد أعيد تنصيبه من جديد وهو

1 – كمال مالطي، توفي في بداية سنة 2011

صور العمود التذكاري أونغندي

الذي تم نزعه تماما عند الاستقلال ، ثم شرع أحد المشاركين في الفيلم في إطلاق النار عليه ، لك أن تصور ذلك ، لأننا كنا نحوز على رصاص حقيقي ولم نكن نملك الكثير من الخرطوش الأبيض . لقد كنا نحوز على ما يكفي لقتل ديناصور . لقد كان الرجل يطلق النار عشوائيا وكان يمكن أن ترتد الرصاصة ، إنه الجنون .

استمرا في مشاهدة الصور وتصفح ذكرياتهما

دونيس مارتيناز : انظر هذه ، إنه صابري ولطفي ، منظر حيث يقوم جندي فرنسي بمراقبة أوراقهما والتلمسانيون الذين نهضوا باكرا في ذلك اليوم لم يكونوا يصدقون أعينهم . فقد كانوا يشاهدون كل هذا اللباس الفرنسي الذي أحيا في عقولهم ذكريات مؤلمة . لقد كانوا يقولون : « مستحيل ! ، لقد عادوا ! »

فوضيل

(ضحك) قبل أن يدركوا أن الأمر يتعلق بفيلم... فالأسوأ من ذلك ، أنه في صباح أحد الأيام قمنا بتنصيب حواجز في المدينة بشعارات استعمارية على غرار فرنسا تدافع في الجزائر عن الحضارة وحماقات من هذا القبيل . لقد كانت هناك عدة شاحنات عسكرية وبعد سبع سنوات من الاستقلال ، تفاجأ سكان الحي برؤية هؤلاء العسكريين الفرنسيين وهم يتساءلون عما إذا كان الاستعمار قد عاد (قهقهة كبيرة) .

يستعرض دونيس مارتيناز بتأثر واضح الرسوم التي قام بتنفيذها قبل أربعة وأربعين عاما ، والتي لم يعد إليها ثانية منذ ذلك الحين .

دونيس مارتيناز : إنه أمر لا يُصدق ، إنها الرسوم التي أنجزتها لأجلك يا أحمد ! مع كل توضيحات المخطط وما إلى ذلك ، إنني لا أتذكر بتاتا . إنها رسومات رائعة ! يتعين تنظيم معرض لها ، وكنت قد وضعت بورتريهات لجميع الممثلين ورسمت العديد من المخططات انطلاقا من تقسيمات تقنية كنتَ قد أعطيتني إياها . كنت أعمل باللباد الأسود وبالحبر بإدخال إشارات بالألوان على المخططات .

ويعثر دونيس لاحقا على رسم كتب عليه مقطع شعري صغير .

دونيس مارتيناز : آه... نعم ، لقد كان يوم أزمة ، عندما قرر جزء من الفريق التوقف عن العمل والالتحاق بالعاصمة ، بينما كنا نحن نريد الاستمرار في إنجاز الفيلم بجميع الوسائل ... إنها حالة ضيق لا تُوصَف ! . يا إلهي ! اُنظر هذا النص الذي كنت قد كتبته على هامش الرسم ، إنه رائع :

كان الوقت ليلا ثم هل تتذكر طفو المياه القذرة في المدينة ؟
كانت هناك سرطانات عمياء وحشرات صماء .
وصديق يبكي الوجود : أعطني قليلا من القهوة .[1]

بخصـــوص التصويـــر

دونيس مارتيناز : لقد كنا نقول : « يجب أن تنزل الدورية من الجبل » . لقد ذهبنا إلى هضبة لالة ستي حيث لا تزال توجد آثار لثكنات الجيش الفرنسي ، ثم واصلنا الطريق عبر الغابات من أجل الوصول إلى مرتفعات تلمسان والقلعة ، لقد كانت رحلة رائعة . قبل هذا لم نزر غير هذه الهضبة مع الغابة . لقد انطلقنا من الهضبة وأرغمنا الرجال على

1 – انظر رسم دونيس مارتيناز ، ص 16

النزول . لقد ركّز تجوال الكاميرا على طول الجبل ، ونجح التقنيون في تعليقها باستخدام دعامات الإسناد ، إنه لأمر جيد أن ينزلوا من الجبل والكاميرا تتبعهم ، لقد كان عملا خارقا . فقد كان الأجمل في تلك الفترة يتمثل في عدم وجود حركة مرور كبيرة ولم يكن الضجيج يضايقنا ، وبالتالي لم نكن نزعج أحدا .

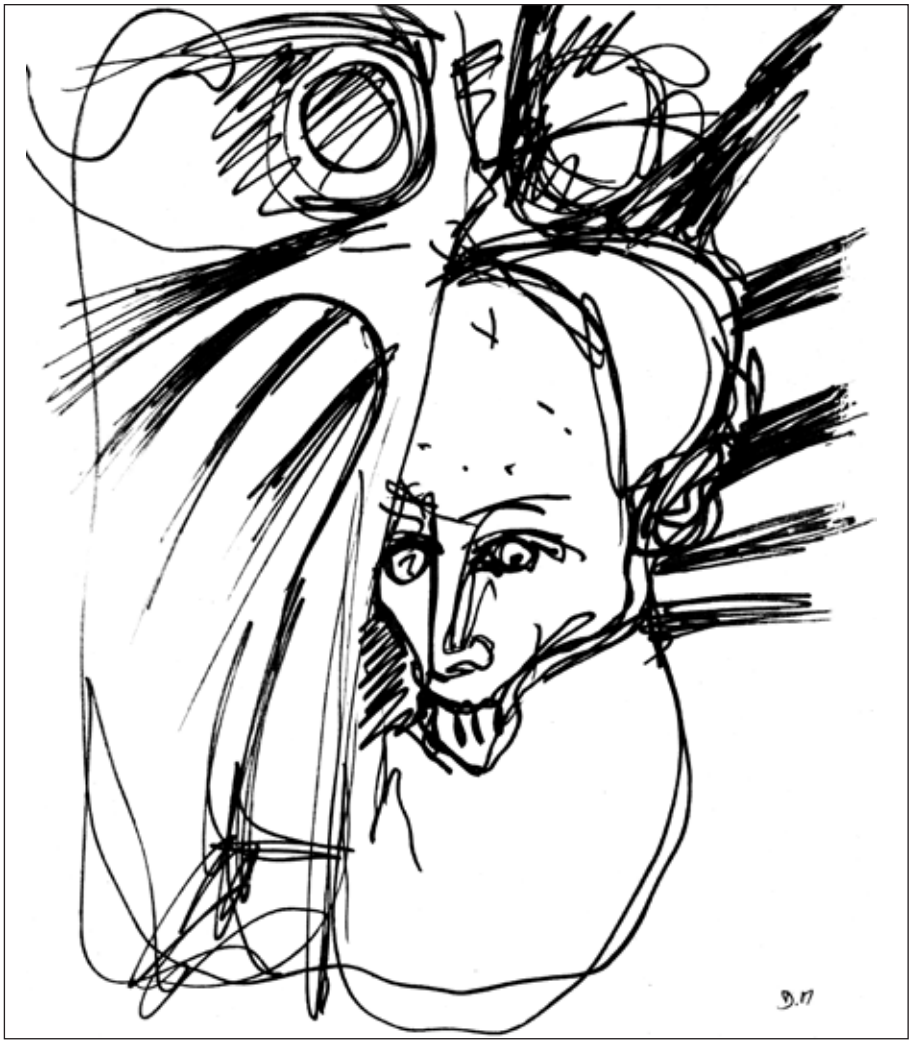

الصورة : من اليسار إلى اليمين ، دونيس مارتيناز وأحمد بجاوي
بالكاميرا ودحو بوكرش وسيد علي حالو .

سأحكي لك أمرا : لقد بدأت أولى الأزمات مع الفريق عندما قمنا بالتصوير في الخارج في ذلك الصباح من أجل تحضير مشهد الثكنة المهجورة أو المهملة . إنه لصحيح أن الفريق كان يعمل في ظروف شاقة بالفعل . لقد كنت ذات مرة رفقة زردومي وكنا نرتدي البدلة ، لكننا لم نكن معنيين بالمشهد . وبينما كان الفريق بصدد تركيب المشهد ، امتطينا R4 وذهبنا لشراء أكل خفيف من المدينة ، وقد وجدنا أحد باعة السردين وكانت بحوزتنا البنادق الرشاشة والجلابيات ، ولم يكن الرجل يفهم ماذا يجري ؛ فباع لنا بسرعة و غادر دون أن يطلب مقابلا لسلعته . وهكذا جلبنا مخزونا من السردين ، غير أننا لم نكن نملك أدوات لإعداده ، فماذا وجدنا على حافة الطريق ونحن في طريق العودة من أجل الالتحاق بكم يا تُرى ؟ هل تعلم ماذا ؟ محراث ذو اسطوانات في حالة إهمال على حافة الطريق ، لقد قمنا بنزع الصدإ عنه وتنظيفه وجمعنا الحطب ووضعناه بداخله ، ثم قمنا بشيّ السردين عليه . إنها عملية تصوير موازية ساهمت في تبديد التوتر وقد ضحكنا كثيرا . ثم كان هناك لاحقا تصوير مشاهد في الفندق والحفل الراقص إلخ هل تذكر الحفل الراقص ؟ هل تذكر ماذا كان يدعى ذلك النادل الذي كان يعمل في البار ؟ إنه شقيق جمال كيتاني الذي ينحدر من تلمسان ، إنه ممثل كوميدي ممتاز .

أحمد بجاوي (موافقا) : نعم ، لقد لعب دور ذلك الذي يدير البار ، وكانت هناك الأوركسترا أيضا . إنهم فرنسيون متعاونون قمنا بتوظيفهم ، كانت لديهم أوركسترا صغيرة هاوية ، ففي الحوار ، يقول أحد الضباط كان في حالة انتشاء : « كل شيء مزيف هنا وحتى الأوركسترا تعزف بطريقة سيئة » وعليه حزم الأشخاص أمتعتهم وانسحبوا وهم يقولون : كيف نعزف نحن بشكل رديء ؟! » . لقد تم اللحاق بهم وتم إقناعهم بأن ذلك من مشمولات السيناريو (ضحك) .

دونيس مارتيناز : لا أتذكر إطلاقا إذا كنا قد صورنا كل شيء مرة واحدة أو مررنا من هناك مرتين ؟

أحمد بجاوي : بلى ، لقد مررنا مرتين وقد عدنا لتصوير وصلة وكان هناك نقص في الألواح .

دونيس مارتيناز : وهنا جاءت هيلين فينوت لتعوض الممثلة الأولى التي كانت مرشحة .

أحمد بجاوي : كلا ، لقد جئنا بشخص آخر أثناء التعرف على الأماكن ، وعندها بدأت مليكة عبد العزيز ، وهي صحفية ، وشاركتنا في اكتشاف الأماكن ، ثم بدأت التصوير ، لكنها لم تكن تستطيع المواصلة بعد ذلك ، وعندئذ جاءت هيلين .

استمر دونيس مارتيناز في عرض الصور والتعليق عليها .

دونيس مارتيناز : مصطفى بليل الرجل المكلف بالمالية ، والمشرف على السينما الشعبية ، هو الذي أرسله إلينا أحمد راشدي مدير الديوان الوطني للتجارة والصناعة السينماتوغرافية ، وكان يشرف على السينما الشعبية ، هو الذي جاء إلى تلمسان ومعه المال .

أحمد بجاوي : لم يمنحنا سوى ثلث المبلغ المالي وثلث الفيلم الإيجابي وقال لنا : « لن تحصلوا على المزيد من المال » ، وطلب منا التوقف والعودة إلى العاصمة لأن الديوان في حاجة إلى المعدات والفنيين من أجل تصوير فيلم العفيون والعصا . لقد جاء ليشرح للفنيين – ومن بينهم مدير التصوير دحو بوكرش الذي تخرج معي من معهد الدراسات العليا في السينما وهو صديق لي – أنهم سيواجهون متاعب . لقد أرجع الممثلون رواتبهم حتى نتمكن من إنهاء تصوير الفيلم علاوة على المساعدة التي قدمها لنا أشخاص من تلمسان . لقد حاولنا الاستمرار في التصوير ، لكن لم يكن لدينا الفيلم الإيجابي . وعندما عدت إلى الجزائر العاصمة ، وُجهت لي تهمة الإخلال بالنظام العام ، تهمة مرفقة باستدعاء من محافظة الشرطة ، وكانت الأمور جدية في تلك الفترة !

دونيس مارتيناز : لقد كان هناك بن علال ، فماذا كان يفعل ؟

أحمد بجاوي : لقد كان المساعد الأول للتصوير مع شخص آخر يدعى تركي .

دونيس مارتيناز : وكان هنا أيضا ابن العنقاء ، وسيد علي لحلو ، وكان مساعدا للصورة ، كان رجلا وسيما !

أحمد بجاوي : لقد كان فريقا جيدا ، لكنه تعرض إلى ضغوط كبيرة أصبحت لا تطاق بمرور الوقت مما جعله يغادر وبقي الفيلم معلقا ولم يتم الانتهاء منه بالفعل .

زينب

الدوريـــــــة

دونيس مارتيناز : إنها مشاهد التصوير داخل المنـزل ، فلا أتذكر هنا إذا كان الأول أم الثاني ؟ فقد كان هناك منزل للاستراحة والاتصال . إنهم هنا يرتدون بذلة الجبال ، أما في المنزل الأول ، فكانوا مستلقين هكذا .

وكان مارتيناز يدندن بأغنية "يا طويل الرقبة" لأحمد وهبي التي يتذكر كلماتها .

أحمد بجاوي : لقد اخترنا منـزلا ناحية باب الهارون كان يفترض أنه يقع قبل مدخل المدينة ، حيث كنا ننتظر قدوم الأشخاص لإعطاء التعليمات . لقد قضينا يوما كاملا هناك حيث قمنا بالتصوير . استقبلنا الناس في المنـزل في جو من المرح على الأنغام الصادرة عن قارئ الأسطوانات الذي لا يتوقف عن الدوران ، وكان رابح هو من سيشرح للمجموعة تفاصيل الهجوم .

دونيس مارتيناز : كانت تلك اللحظة رائعة جدا وكان الجميع هناك . لقد قتل البعض بعد الهجوم (في الفيلم) وفي الزقاق أيضا ، ولم يكن الأمر سيئا مع الدورية الكاذبة . إنها هذه اللقطة من الدورية الكاذبة والحقيقية حيث نشاهد شقراني وهو يضع قبعته البيريه . وهناك شخص ارتكب خطأ في لحظة معينة بمخالفته التعليمات لدى مروره بالقرب من نادي ومطعم الضباط . كان شقراني يحيّي بصورة عادية ، لكن هناك ذلك الرجل القصير القامة الذي كان يحيّي وهو يضع خوذة على رأسه ، في حين لا نحيّي إلا مع القبعة فقط . لقد استغرب العسكري الأمر ، واستدار للتحقق من ذلك .

وكان يتعين عندئذ تسريع الأمور والبدء في العمل مبكرا على عكس ما كان مقررا . لقد تقاطعوا مع دورية فرنسية حقيقية ولم تتعرف عليهم هذه الأخيرة ، وفي الدورية ، كان شقراني في المقدمة أو بالأحرى على الجانب ، يضع البيريه فقط .

لقد كان رابح الأكثر خبرة عسكريا يسير في المقدمة ، بينما كنت أنا بالقرب من الشاب صابري ووراءي كنا قد وضعنا الرجال الأقل شقرة في مؤخرة الدورية . كان الفرنسيون يقولون إنها دورية فرنسية ، ولكن الجزائريين يعرفونهم وهذا يطمئنهم .

لقد كانت الفكرة تتمثل في رسم مسار من أجل الوصول إلى فندق المغرب لتفادي وقوع خسائر في الأرواح وسط السكان المحليين .

ففي وقت الإفطار يكون الجميع بصدد تناول الطعام ، في حين يبدأ الآخرون احتفالهم في هذه اللحظة لأنهم يتمتعون بالأمان وعليه كان يتعين القيام بالهجوم في هذا الوقت حيث لا يوجد أحد يتجول في الخارج .

في حين أتذكر أنه خلال التصوير ، وعندما كان يجب علينا تصوير لقطات في الفيلم تتم ليلا ، لم يكن لدينا الوقت أصلا لوضع الترتيبات قبل مجيء الليل ، نظرا لحلوله بسرعة عند الغسق ؛ لذا ، كنا نبدأ في الصباح بالنهوض في ساعة مبكرة ونذهب لتناول الحريرة في السوق في ذلك الوقت ، ففي تلك الفترة كانت هناك جميع أنواع المطاعم الشعبية ، تقدم الحريرة والكفتة... إلخ ، وكنا نتدثر جيدا نظرا لبرودة الجو ، وكان ذلك بمثابة إفطار الصباح ، حريرة كفتة مع الخبز التي كانت تعد في اليوم السابق ، هممهمة ! . لقد كانت وجبة لذيذة . ذاك الذي كنا ندعوه "باخوس" – وهو اسم مستعار بطبيعة الحال – هو موسيقي جيد جدا ، متخصص في الغناء الأندلسي ، كان يعزف لنا في حلقة مغلقة عندما يكون له متسع من الوقت .

تلمســـان قبـل وتلمســـان بعــد . . .

دونيس مارتيناز : إنها ذكريات تعود بنا إلى الوراء ، فلدى وصولنا إلى تلمسان توقفنا أمام سوق لبيع السلع المستعملة حيث كانت تعرض أشياء مذهلة . لقد اشتريت هذا التمثال من البرونز الذي يوجد في ورشة عملي ، إنه عبارة عن سوق للسلع القديمة والرخيصة حيث تباع أشياء كان يحوزها الأوروبيون .

وفي هذه اللحظة من سرده ، سألني دونيس مارتيناز : « كيف حال تلمسان في الوقت الحاضر ؟ » .

أحمد بجاوي : المدينة تغيرت كثيرا ، "المشوار" تم ترميمه بالكامل ، إنه عمل رائع .

دونيس مارتيناز : ماذا عن الفندق الذي يقع قبالة ساحة الانتصارات حيث تم هجوم الكوماندوس على نادي ومطعم الضباط ؟

أحمد بجاوي : نزل المغرب مغلق ولا أعرف لماذا . لكن هناك العديد من الفنادق التي فتحت في وسط المدينة ، فنادق صغيرة ، جميلة ولطيفة . ففي الماضي كان هناك فندق واحد فقط .

دونيس مارتيناز : وماذا عن الحي القديم ؟ .

أحمد بجاوي : لم يتغير . لقد شيدوا دارا جميلة للثقافة ، قصر للثقافة على الطراز الغرناطي ، ويقع على طريق المنصورة ، حيث صورنا المشهد الليلي . كانت تلك تخوم تلمسان في ذلك الوقت .

دونيس مارتيناز : وماذا عن الحوض الكبير ؟

أحمد بجاوي : عند الاستقلال ، كان عند حدود المدينة والآن يقع تقريبا في وسط المدينة . لقد شيدوا الكثير وجرت تهيئة الثكنات التي كانت في الساحة بالقرب من الحوض الكبير بشكل كبير . هل تتذكر وأنت تنـزل من المركز الثقافي الفرنسي متجها نحو الحوض الكبير ، ستجد ساحة حيث كان هناك حصان ومدرسة ، غير بعيد كانت هناك ثكنة ، لقد جعلوا منها جامعة رائعة بها قاعات كبيرة للمحاضرات . لقد أثريت تلمسان بالكثير من الهياكل الهامة على غرار مسرح في الهواء الطلق يتسع لـ 1800 مقعد ومتاحف... إلخ .

على هامش الفيلم ، المشاكل والحكايات . . .

دونيس مارتيناز : الآن سأروي لك ، وأعتقد أنه لم يسبق لي أن قلت لك ذلك في وقت مضى . عندما ذهبت للعمل معك ، كنت أستاذا في مدرسة الفنون الجميلة . وأثناء دروس الرسم ، لم أكن أحضر بطبيعة الحال ، ولم أكن آبه لذلك ولم أكن أخبرهم بذلك على الإطلاق . وعندما عدت إلى مدرسة الفنون الجميلة بالجزائر العاصمة ، كنت أتوقع العِقاب أو الطرد من الخدمة . لقد دخلت في حالة تردد . وعند وصولي إلى مكتب المدير قلت له : « يمكنك طردي إذا كنت تريد ذلك ، أتحمل المسؤولية ، لقد كنت بصدد تصوير فيلم في تلمسان ، كنت مع بجاوي ، وأنا مخطئ ، افعل ما

تريد » . في ذلك الوقت ، تنهد بشير يلس – الذي كان مديرا لمدرسة الفنون الجميلة منذ الاستقلال – وهو يتمتم ، ثم قال : « لحسن الحظ ، كنت في تلمسان » وهكذا استطعت استعادة مكاني . يذكرني هذا ، أنه خلال هذه السنوات حيث كنت أعطي دروسا في مدرسة الفنون الجميلة (حكاية لا علاقة لها بالفيلم ، لكنها ممتعة) ، كنت أقوم بالرحلة بين البليدة والجزائر العاصمة بشكل منتظم على متن سيارتي من نوع R4، وعند مخرج البليدة ، رأيت أحد البليديين يحاول إيقاف السيارات بإشارة من يده وقد كانت لحيته في بداية نموّها . توقفت له ، صعد وانطلقنا ، كنا نتكلم في كل شيء ولا شيء ، كنا نتكلم عن الرجال المشاهير الذين اعتنقوا الاسلام ، وكنا نتحدث عندها عن حالة مصمم الرقصات الكبير موريس بيجار ومع تشويه النطق باللغة العربية ، خيل له أن الكولونيل بيجار هو الذي اعتنق الإسلام ! (ضحكات) .

وخلال رحلات الذهاب والإياب إلى تلمسان ، توقفنا في وهران مع شخص آخر لكي نذهب لرؤية ولد عبد الرحمن كاكي ، الذي كان يرقد في المستشفى بعد حادث مرور مروع . وكان كاكي مع مصطفى كاتب وبودية ، أحد الرجال الأقوياء في المسرح الجزائري بعد الاستقلال . لقد تم نقله من مستغانم إلى وهران . وكانت جميلة صديقته هناك وكانت تنـزل في فندق مارتينيز الذي كان في ذلك الوقت على ما أعتقد ، الفندق الكبير الوحيد في وهران . (تأكد أن مالكه لم يكن من عائلتي !) لقد ذهبنا إلى هناك لأخذ شقراني الذي كان سيصور معنا ، وهو الذي أخدنا إلى زيارة كاكي على سرير المرض ، ولم يكن كاكي يتعرف على أحد ، أنابيب كثيرة موصولة بجسمه ، كان نحيفا . وكنت قد أخذت كراسة من فندق مارتينيز ، وقمت برسم مخطط له .

على هامش التصوير ، شلة الأصدقاء

هل تعلم أن تلك الخرجة التي قمنا بها إلى رشقون مع كامل الفريق والكوميديين ، كانت من أجل إعادة التلاحم بين أعضاء الفريق ، لقد ذهبنا إلى هناك ولا أدري كم كان عدد السيارات . لقد وصلنا إلى خيمة بحرية صغيرة على الشاطئ و كنا قد حملنا ما يكفي من المواد الغذائية لتناولها هناك . لقد بدأوا في عزف الموسيقى ، وعندما تخرج إلى الخارج تشاهد الخيمة تتحرك . لقد أحضروا آلات موسيقية من بينها الدربوكة .

وفي طريق العودة كان معي على متن السيارة ، زردومي وشخص آخر في المقعد الخلفي للسيارة . وفي الطريق وجدنا بعض الناس يبيعون الحلزون . وأنا أحب الحلزون . أخذت صندوقا خشبيا مليئا بالحلزونات ووضعته في الصندوق الخلفي للسيارة ، لكن لم يكن لدي شيء لإغلاقه ، لذا وضعت القفة في الصندوق الخلفي وشرعنا في السير . وفجأة رأيت حلزونا ينزل على الزجاج الأمامي للسيارة . توقفت ونزلت ولك أن تتخيل ماذا رأيت ؟ كانت السيارة بأكملها مغطاة بالحلزون . وكان الشخص القابع في الكرسي الخلفي يقول (إنها تمطر حلزونات) . وقد بذلنا جهدا لإزالتها . لا أتذكر ما قمنا به بعد ذلك غير أنني أعتقد أننا تخلصنا منه في عين المكان ولم نأكله بالتأكيد . لقد رميناه بالكامل .

خـــــــاتـــمة

واصل دونيس مارتيناز إظهار الصور التي كان قد التقطها قبل أكثر من أربعين عاما . فقد وقع خلال تصفحه لها على صورة لـ بوبكر بلقايد الذي كان وزير الثقافة في ذلك الوقت والذي كان قد جاء في زيارة للمدرسة الوطنية للفنون الجميلة في بداية التسعينيات .

أحمد بجاوي : إنها النظرة الحقيقية لـ بلقايد .

دونيس مارتيناز : سأروي لك حكاية هذه الصورة ، لقد كان في تلك الفترة وزيرا للإعلام والثقافة . ففي كل مرة يكون هناك وزير جديد ، يقوم بجولة على مدارس الفنون ، وكنت أعرفه من قبل عندما كان في المديرية الوطنية للتعاونيات الجيش (dnc) وكنت أنا في المدرسة . وكانت لدي الورشة الموجودة أعلاه ، وكان الطلبة قد أخبروا بقدوم الوزير . . كان كريم سرغوة والمجموعة . وصلت في الصباح وكانوا هم على علم بعد .

دخلت إلى الورشة حيث وجدت جميع الكتب رأسا على عقب . لقد شرحوا لي أنه في كل مرة يأتي وزير ، يتفقد ثم يذهب ثم لا شيء يحدث بعد ذلك ، لقد سئمنا

وهنا سنرى ماذا سيفعل . لقد اخبرني المدير أحمد عسلة[1] أن الوزير وصل إلى مكتبه وأنه بعد لحظات سيصلان إلى ورشتي . وبما أنني كنت في الطابق العلوي . وتباعا كان الأساتذة يقفون خلفه وكان بلقايد صديقا لجميع الأساتذة ورجلا رائعا ، قد جاء مع رئيس ديوانه ووزراء آخرين وعندما دخل إلى الورشة سلمت عليه أمام الآخرين الذين فوجئوا بكوننا نتعارف وبدأنا نتبادل الحديث ،لقد كان ينظر في اللوحات المرسومة بالحبر وطلب مني وهو يضحك ويمزح دفعة واحدة « كيف حالك » لقد قلت له « اسمع ليس هناك مشكل إلى أنه خلافا لجيلنا ، علينا بعد الاستقلال أن نعمل من أجل تشييد البلد ، أما الآن فنحن أمام شباب يريدون الانفتاح على الخارج وأنهم في حاجة إلى الأكسجين على الفور والآن » . وكان احد المرافقين لـ بلقايد يريد أن يمزح بقوله « ما عليك غير فتح النافذة » وقد رد عليه بلقايد بنبرة جافة « اخرس أنت يا سيد سجل ما قاله وفقط » وبعد هذا دخلنا في مرحلة أخرى والبقية معروفة .

1 – أحمد عسلة و ابنه رابح تم اغتيالهما من طرف ارهابيين أصوليين داخل المدرسة العليا للفنون الجميلة يوم 5 مارس 1994

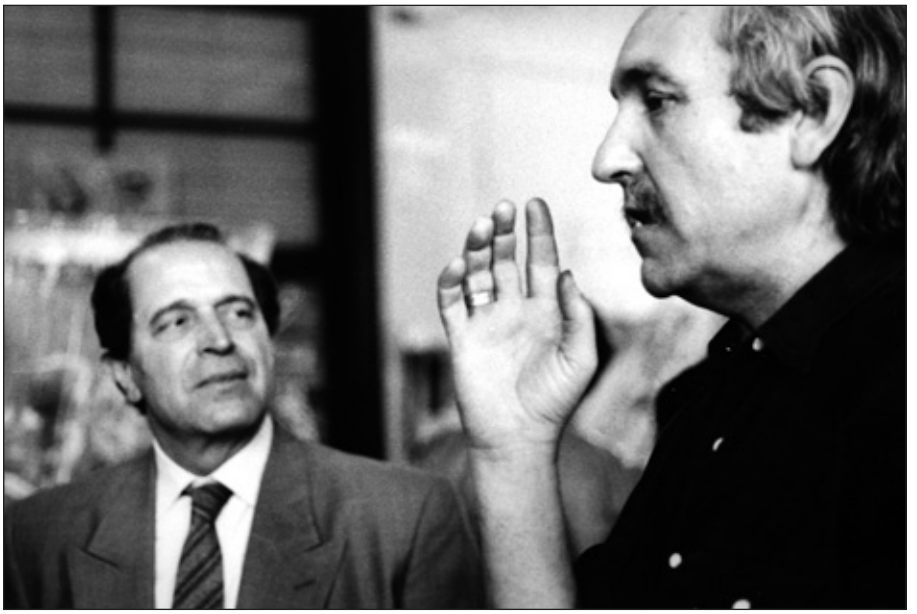

أبو بكر بلقايد و دونيس مارتيناز

صـــــوري وذكريـــــاتي المبهـــمة
في قلـــب معركـــــــة تلمســـان

صـــــوري وذكريـــــاتي المبهـــمة
في قلـــب معركـــــــة تلمســـان

لماذا اخترت قصة هذه الحلقة من الثورة ، بدلا من قصة أخرى من أجل عمل سيناريو ؟

يعود بنا هذا إلى ما يقارب 45 عاما إلى الوراء في جزائر عام 1967 ، بعد بضعة سنوات من الاستقلال . وكان الديوان الوطني للتجارة والصناعة السينماتوغرافية قد أنشئ للتو آنذاك . وهكذا وجدت نفسي مع اثنين من زملائي من السينمائيين منخرطا في انجاز فيلم طويل بعنوان تاريخ الثورة . ودفعة واحدة ، كنت أريد سرد أحداث كانت أصداؤها وأكثر من ذلك أبعادها تصل مسامعي أثناء تمدرسي .لقد تأثرت كثيرا بالقصص التي كان يرويها لي زملائي في القسم عن المآثر الحربية للذين نسميهم بفخر المجاهدين .

وبينما كانت حرب التحرير قائمة ، تفتق وعي المراهق عندي مع وتيرة الأحداث المتسارعة التي طبعت يومياتي وأنا طالب ثانوي وفي وقت لاحق ، انصهرت الأكثر حضورا منها في ذكرياتي ، في سن يكتشف فيها الحياة شاب يافع مثلي . وفي العام 1954 ، كنت أبلغ من العمر إحدى عشرة سنة ، وكنت استعد للانتقال إلى القسم السادس وكان والدي سي عبد الكريم ، مناضل وطني عنيد ، تعرض أكثر من مرة إلى السجن وجرجر أمام المحاكم من طرف المتصرف الاداري لبلدية سبدو المختلطة وذلك بتهمة تعبئة سكان الضواحي ضد الوجود الفرنسي . كان والدي متعلما ومثقفا وبالتالي بإمكانه أن يطمح لمنصب مفتش في إحدى الادارات المركزية ، لكنه رفض بإصرار خدمة فرنسا وتفضيله ممارسة حرف يدوية قبل أن يباشر تجارة مزدهرة لنصف الجملة . وأنا طفل ، كان يأخذني معه في جولاته في منطقة سبدو . لقد فهمت لاحقا ، أنه كان

يتخذ من توصيل السلع غطاء لمقابلة شيوخ القبائل وذلك قبل أن يشرع في تموين الجبال بالمؤونة والمعدات الخفيفة والأحذية التي كانت سائدة في ذلك الوقت . كنت أشاهد والدي في أغلب الأحيان في المساء وأذنه ملتصقة بالمذياع القديم من نوع فيليبس وهو يتابع تطورات الحرب في الهند الصينية . لقد أدركت لاحقا أن جميع الوطنيين على غراره متعلقين بمجريات معركة ديان بيان فو التي قادها الجنرال جياب الذائع الصيت منذ 13 مارس .

وفي السابع ماي ، كنت في محيط متجر والدي الذي كان يوجد في المنـزل عندما ناداني عمي محمد ، الذي قال لي بعد أن سجل بعض الكلمات على قطعة من ورق التغليف « أجري بسرعة وسلم هذه الوريقة إلى والدك ولا تظهرها لأي شخص آخر » ويكفي القول أنني ذهبت مسرعا وأنا ألهث من أجل إيصال تلك الرسالة التي لم أفهم منها سوى أنها ذات أهمية قصوى بالنسبة للبالغين من عائلتي . لقد قرأ والدي الرسالة وأعاد قراءتها عدة مرات بصوت عال : « لقد سقطت ديان بيان فو ! » .

أدركت حينها أن شيئا مهما حدث بعيدا جدّا منّا ، لكنه قريب جدا من قضايانا . ففي حين كان الوطنيون يستعدون للانتقال إلى العمل ، ما انفك بعض الأعيان الورعين يلتحقون بالذين يرغبون في محاربة فرنسا وجيشها .

ومنذ ذلك اليوم ، لم يفوت والدي الفرصة للرد عليهم ، « إنه من الممكن ، أن يكون جياب والفيتناميين قد فعلوها ! » لقد انتهت معركة ديان بيان فو في ذلك اليوم باستسلام الموقع الذي كان تحت قيادة الجنرال دو كاستري الذي كان يعمل تحت قيادته ضابط برتبة مقدم يدعى بيجار وكذا الملازم ألبير . وفي وقت لاحق ، كنت سأسمع الكثير عن أولئك المنهزمين الذين كان يفكر فيهم الجنرال جياب عندما قال أن الاستعمار كان (تلميذا غبيا) .

لقد كان الجميع يدرك أنه بعد 8 ماي 1945 و7 مايو 1954 ، وفي الوقت الذي كان الشعب الجزائري يستعد لحمل السلاح للتحرر من نير الاستعمار ، التحقت بثانوية

سلان في أكتوبر 1954 ، وذلك قبل أسابيع فقط من إعلان الثورة من طرف جبهة التحرير الوطني ومنذ ذلك التاريخ ، انتابت حركة غليان غير مسبوقة مدينة تلمسان حيث سيبصم كل حدث خارجي بخاتم التاريخ . وبين كل درس في الأدب اللاتيني أو الفرنسي ، يواصل أساتذتنا في اعطائنا دروسا من شأنها أن تجعل منا مواطنين جيدين من السكان الأصليين ، في حين كنا في عقولنا على يقين من أننا سنكون آخر من سيتعرض لهذا الاغتصاب للهوية .

وفي الثانوية ، كنا نعبر في غالب الأحيان بقوة لا تخلوا من التفاصيل والخيال عن الجو السائد في تلك الفترة والمتميز بقناعات قوية تختفي وراء المظهر المهذب للتعايش والمجاملة . فمن جهة ، يميل زملاؤنا الأوروبيون في الثانوية إلى تصديق أسطورة الربع ساعة الأخير لصاحبها سوستال ، في حين أن الأطفال الجزائريين (الذين كانوا أغلبية في ثانوية تلمسان) حيث ما انفكوا يكررون منذ دخولي إلى ثانوية سلان قناعتهم ويقينهم أن الاستقلال سيكون في نهاية الشهر . لقد التحق الكثير منهم بالجبال وقضوا وذلك اليقين متبث في قلوبهم . وتأتي مأساة عائلات الأقدام السود في جزء منها من رفضهم التسليم بكون جبهة التحرير الوطني كانت على بعد خطوات من أن تكون هي المعبّر عن جميع لشعب الجزائري وعن رغبته العارمة في استعادة حريته . وفي الخامس من جانفي 1955 أي بعد شهرين من بداية حرب التحرير ، وبينما بدأ التلميذ الاستعماري الغبي يدرك أن الأمر لا يتعلق بمجرد ثورة للفلاحين ، بل بحركة انتفاضة عميقة . لقد تم توقيف والدي في سبدو وارساله لاحقا إلى محتشد تابع للنظام الاستعماري ، بعد تشميع متجره وكذا المنـزل العائلي ، وانضمام مجموع أفراد العائلة إلينا في تلمسان حيث كنا أنا وشقيقي الأكبر ندرس ، وكان هذا الشقيق الذي أعجبت به كثيرا ، قد اتخذ مكان الأب بشكل طبيعي وبدأ في تسيير الأسرة بمزيج من الحزم وروح الحوار .

كنت أكتب إلى والدي الرسائل بانتظام واضعا لها كعنوان محتشد الاعتقال بـ أفلو .

لقد مضت عشر سنوات على انتهاء الحرب العالمية الثانية وأهوال النازية ، ولم أكن أرى سببا وجيها لتمييز محتشدات هتلر عن تلك التي وضعها سوستال . وذات يوم وصلتني رسالة من أحد رفاقه الذين أطلق سراحهم من أفلو . لقد قال لي ما لم يستطع كتابته

لي : أن الأظرفة وصلته وعليها كلمة محتشد الاعتقال محاطة بالأحمر ، الأمر الذي تسبب له في بعض المتاعب ، قال لي ذلك مرسولنا بأدب . أثار هذا الخبر في نفسي شعورا بالذنب ، زادته خطورة ذكرى مؤلمة لزيارة كنت قد حاولت القيام بها إلى والدي لكي أحضر له طعامه عندما كان في مستوصف القرية في انتظار تحويله إلى أفلو . وفي ذلك اليوم كان قد استقبلني عسكري فرنسي بطريقة تكاد تكون لطيفة لكي يقول لي أن والدي كان مشغولا ، وأنه لا يمكنه المجيئ لرؤيتي ، لكنه سيعطي له الوجبة . ولم يكد ينتهي من نطق الكلمات الأخيرة حتى « سمعت صرخة رهيبة قادمة من عمق المستوصف . تبدلت ملامح العسكري قليلا قبل أن يتوارى عن الانظار وهو منحني الرأس . لم أطرح عليه السؤال اطلاقا بعد اطلاق سراحه ، ولكن هناك شيء ما كان يقول لي أنه هو من كان يتعرض للتعذيب . لقد رافقتني تلك الصرخة لمدة طويلة وكانت تؤطر كوابيسي . أدى ظهور المتاعب التي تسببت في حماسة الشباب واختلاطها مع ذكرى مستوصف سبدو إلى خلق شعور غامض لدى الشاب ذي الاثني عشر عاما ، بمسؤوليتي الجديدة في مواجهة عالم يجبرني على أن أكون راشدا قبل الآوان ، ودفعة واحدة ، بدأت صحوتي السياسية في تجميع هذه العناصر المدفونة في ذاكرتي من أجل اعطائها وجهة وصلة ومغزى .

إن ما أتيت على ذكره ليس بطبيعة الحال ، سوى شذرات من ذكريات طالب ثانوي شاب يعيش في عائلة ملتزمة جدا مع الثورة . ذكريات استكملت في وقت لاحق من خلال قصة الفاعلين في هذا التاريخ الرائع لحرب التحرير مثلما عشناها يوميا . بعد عملية القبض على والدي التي عشتها بصورة وجدانية أكثر منها عقلانية ، كانت أول مشاركة لي في الأعمال ذات صلة مباشرة مع ما كان يسميه سكان المدينة من الأروبيين مجازا بالأحداث ، تلك المظاهرة التي تلت جنازة الدكتور بن زرجب[1] في تلمسان . ولم يكن استاذي في مادة التاريخ سوى الشهيد سيد أحمد إينال[2] و هو الذي كان قد أعلن لنا في القسم أن الدكتور بن زرجب ، كان قد تعرض للتعذيب ثم الاغتيال على يد

1 – تم توقيف الدكتور بن عودة بن زرجب ثم اغتياله من طرف القوات الاستعمارية في دوار أولاد حليمة بالقرب من سبدو في 16 جانفي 1956 . عرفت مدينة تلمسان عدة أيام من الاضطرابات على إثر هذا الاغتيال العشوائي . وتحمل ثانوية تلمسان اسم الشهيد منذ الاستقلال .

2 – سيد أحمد إينال ، أستاذ التاريخ بثانوية سالان ، التحق بالجبل ، جرح في المعركة ، تم إلقاء القبض عليه وتعذيبه ثم اغتياله من طرف القوات الاستعمارية في الأول من نوفمبر 1956 .

القوات الخاصة للنظام الاستعماري بلا شك . كانت الغالبية العظمى من طلاب ثانوية سلان من الشباب الجزائريين ، غير أن الأستاذ إينال لم يكن يتردد علنا في الدعوة إلى تنظيم مظاهرة مع الإشارة علينا بالتوجه بعد الظهر إلى مقبرة المسلمين . ففي ذلك اليوم من جانفي 1956 ، عبر حشد كبير من السكان المدينة قبل غزو المقبرة وذلك احتجاجا على تلك الجريمة النكراء . وكان هناك سفيو[1] رئيس البلدية إلى جانبه نائب رئيس العمالة وكلاهما يتوشحان بإيشارب ثلاثي الألوان يرمز إلى العلم الفرنسي . وعندما بدأ الحشد الجماهيري في ترديد شعار سوستال مجرم ، سرعان ما تركت السلطات المحلية مكانها لقوات قمع الشغب التي قامت باستخدام العصي بلا هوادة .

لقد جعلت كاريزما الدكتور بن زرجب وشجاعته وتفانيه في خدمة البسطاء منه ذلك الشهيد الذي كانت تحتاجه الثورة لكي تتقدم . ولقد مكنته ثقافته المزدوجة بالعربية والفرنسية من تحرير ونسخ منشورات ووثائق كانت تستخدمها الجبهة في التواصل مع السكان الجزائريين وذلك على الآلة الناسخة التي كان يخفيها خلف المكتب في عيادته الطبية .

ساحة الانتصارات سابقا

1 – السيد ، بلان كان رئيس البلدية المنتخب على قائمة الاشتراكية الفرنسية للعمال الدوليين وهو حزب غيه مولي وجاك سوستال .

الدكتور بن عودة بن زرجب

لقد مهدت جنازة الدكتور زرجب الطريق لما كان يسمى معركة تلمسان . وهكذا ، انضم مناضلون من نخبة تلمسان على غرار سيد أحمد إينال ، جيلالي قروج ، عبد الرزاق بختي ومحمد غميري إلى جماعات التمرد في الجبال و تضخيم صفوف جيش التحرير الوطني ، بينما كان المدعو سي إبراهيم يضع لبنات تنظيم مدني سيتولى تسيير معركة تلمسان مع رفاقه المخلصين ومن بينهم وشادي بومدين المدعو دينـدو الذي أصبح لاحقا ضابطا في جيش التحرير الوطني تحت الاسم الحركي عبد الرزاق . ولم يكن سي إبراهيم سوى ذلك الشاب الأنيق والنحيف الذي يسكن على بعد حوالي عشرين مترا أعلى منـزلنا في درب الينابيع . أتذكر أنني كنت قد سألت هذا الرجل الكتوم الذي كان يعبر الشارع مثل الظل وقد أجابني ، اسمي بن علي دغان الذي ندعوه أحيانا بودغن . فكيف يمكن أن نخمن أن العقيد لطفي المخطط الاستراتيجي لمعركة تلمسان ، كان يتخفى تحت ملامح الرجل المثقف البشوش والمصمم ؟

وفيما يلي كيف يصف محمد شفيق مصباح[1] ، ضابط سامي في الجيش الوطني الشعبي في التقاعد ، العقيد لطفي في المستقبل . تدين بداية الثورة في تلمسان بالكثير إلى بودغن بن علي الذي تمكن في ظرف وجيز من وضع تنظيم سياسي للمدينة وتكوين مجموعة من الفدائيين وخلق وحدة كوماندوس عسكرية كان يتولاها بصفة شخصية[2] .

لقد تم التطرق إلى هذه الحلقة من الحرب في تلمسان ببراعة من طرف الوشدي بومدين المدعو عبد الرزاق في إحدى التصريحات تحت عنوان (ومع ذلك ، كان لمدينة تلمسان كوماندوس جيش التحرير الوطني الخاص بها بين عامي 1956/1955 ، الذي كان يرأسه سي براهيم لطفي) وتؤكد هذه الشهادة ، المهارة والنضج السياسي لـ سي براهيم الذي استطاع أن يجند بفعالية في ظرف وجيز شباب تلمسان .

أما بالنسبة للوشدي (وتلفظ الوجدي) فقد كان قريبا جدا من شقيقي الأكبر محمد الذي يكبره بـ سبع سنوات ، أتذكر أنني رأيته في بيتنا في سبدو عندما جاء لتحضير شهادة التعليم الابتدائي مع شقيقي . لقد التحق هذا الأخير بدوره بالجبال في أبريل 1957 قبل بضعة أشهر من اجتياز امتحان شهادة البكالوريا ، في حين القي القبض على عمي محمد الشريف الشقيق بالتبني ، عضو جمعية العلماء وتم ارساله هو الآخر

1 – محمد شفيق مصباح ، دكتوراه الدولة في العلوم السياسية ، حاصل على دبلوم من المعهد الملكي لدراسات الدفاع .

2 – في جريدة لوسوار دا الجيري 5 جوان 2005

إلى إحدى معسكرات الاعتقال . وفي غياب الثلاثة الكبار في الأسرة ، وجدت نفسي الطفل الأكبر سنا وبالتالي رب الأسرة لبعض الوقت . كنت قد بلغت حينها الرابعة عشرة من العمر . وكانت أسرتي بأكملها تحمل حقدا دفينا ضد المتصرف العام أوكونت الذي كان يواصل اضطهاد والدي منذ أكثر من عقد من الزمن . لقد كانت فرحتنا كبيرة عندما علمنا بمهاجمة مقرات البلدية المختلطة الواقعة في مدينة تلمسان ، في السادس عشر من مارس 1956 ، من طرف كوماندوس ، علمت في وقت لاحق من أخي أنه كان يقوده عبد الرزاق وشادي ! . ففي ذلك اليوم ، استولى الكوماندوس على عشرات القطع من السلاح ، أسلحة ستضاف في وقت قريب إلى غيرها . وبعد شهر لاحقا ، بدأ العمل المسلح للمجاهدين يقترب أكثر إلى الجوار القريب مني . وبالفعل ، وفي أبريل 1956 ، علمنا أن وحدة كوماندوس قامت بقطع الأسلاك الشائكة لوحدة صناعة الزرابي لوهران .

وكانت مقرات هذه الوحدة تقع في نهاية درب الينابيع حيث كنا نسكن . لقد ذهبت مع جيراني وأصدقاء الطفولة عدة مرات إلى هذا الموقع الذي أصبح أسطوريا . وعلى الجانب الآخر من النهر الصغير المحاذي للمصنع ، كان يوجد هناك فضاء للعب قررت القوات الاستعمارية إقامة مخيمات فوقه للرماة الجزائريين العائدين من حرب الهند الصينية . وفي ذلك اليوم قامت مجموعة بقيادة عبد الرزاق (ديندو) بالاتصال بأحد قدماء الرماة الذي أصبح عون اتصال وذلك من أجل الدخول إلى المعسكر وتحييد العديد من الفارين الذين انسحبوا ومعهم كمية كبيرة من الأسلحة والبدلات العسكرية للجيش الفرنسي التي لن يتأخر استخدامها هي الأخرى .

ويحكي سي عبد الرزاق في كتاب معركة تلمسان[1] الذي نشرته جمعية قدماء خريجي ثانوية سالان ، أن سي براهيم الذي سيصبح (لاحقا العقيد لطفي) قد اقترح مهاجمة وحدة صناعة البارود لـ تلمسان قبل أن يغير رأيه وينضم لفكرة دورية كاذبة تتكون من أعضاء من ذوي الخبرة في مجموعته مدعومين من طرف الفارين من وحدة صناعة السجاد لوهران . وهؤلاء كذلك عسكريون محترفون كان عليهم تقديم خبرتهم القتالية لعمل من وحي ثوري . وكان الهدف هو مهاجمة نادي الضباط الكائن بساحة

1 – بومدين الوشدي ، في معركة تلمسان ص 231–241 2006 /ecolmet/ص 54

الانتصارات . وقد وافق الجميع على رمزية هذا الاختيار . وكان سي إبراهيم يدرك تماما أن عملية مثيرة على غرار مهاجمة دار الشباب المسمى نورماند ، ستؤدي إلى قمع عنيف ضد السكان المدنيين . ولطالما كان حريصا على الحفاظ على الأرواح البشرية كما يروي سي عبد الرزاق ، ألح على أن يكون الهجوم يوم الثامن من ماي وفي خضم رمضان وفي لحظة الافطار بالضبط حيث تكون الشوارع خالية ، كما يكون قد طلب إعلام السكان قصد الالتحاق ببيوتهم مبكرا في ذلك المساء .

ولنا أن نتصور حجم ما يمكن أن تجنده حملة اعلامية مماثلة من شبكات وروابط مع شعب تلمسان !

ونتيجة لذلك ، ذهب شخص يعاني من إعاقة ذهنية ضحية لانتقام جنود الجيش الفرنسي في نهاية ذلك اليوم ، شخص لا علاقة له بالكوماندوس . وفي ذات الشهادة نفسها ، يتحدث سي عبد الرزاق عن توصيات مليئة بالحكمة وضبط النفس كان سي إبراهيم يقدمها للمجندين الجدد . وتتجلى من خلال هذه التعليمات ، ملامح شخصية رجل ذو حس عال بالثورة والأمة الجزائرية[1] . وفي مقابلة جمعتني به ، أسر لي سي عبد الرزاق أيضا ، أن سي إبراهيم قد فكر في التحضير لمؤتمر الصومام عندما قرر القيام بهذا العمل في ماي 1956 . ويستحضر بوعلام بسايح السلطة المعنوية للعقيد لطفي : « في اللحظات الحرجة كان يسوده هدوء أولمبي ويعطي تعليماته بعد تفكير عميق كما يفعل جنرال خريج من المدارس العسكرية الكبرى . وفي لحظات استرخائه ، كان يبدي فضولا فكريا وقدرة مذهلة على التحليل المتميز »[2] .

لقد بقي السرد شبه الأسطوري الذي قدمه لي زملائي في القسم عن هذا العمل محفورا في ذاكرتي إلى الأبد . وبطبيعة الحال ، إنها ذكريات مراهق في سن الثالث عشرة ، جمعتها من الناجين من هذه الملحمة في وقت لاحق ، وهي الشهادات التي اعادت تشكيل تاريخ الدورية الكاذبة .

كنت أرغب قبل كل شيء في الحفاظ على العلاقة السحرية للمراهقة حول هذه الوقائع الكبرى التي حققها الأسلاف الذين كنت احتك بهم عندما دخلت إلى الثانوية ، بينما كانوا يتأهبون للتخرج . لقد دفعتني هذه الرغبة في الحفاظ على حقيقتي إلى

1 – بومدين الوشدي، في معركة تلمسان ص 231–241 2006 / ecolmet / ص 54.
2 – بوعلام بالسايح، ورود الربيع وأوراق الخريف منشورات دار القصبة 2009. الجزائر (ص 55)

تفادي معالجة العمل واحترام الحقيقة التاريخية بصرامة . إن قناعتي العميقة هي أن التاريخ يعود للمؤرخين وليس للسينمائيين دور (ليس بعد في جميع الحالات) في تتبيث التاريخ على الشاشة بدلا من إحقاق حقيقة الوقائع بصرامة . وعندما ينتهي المؤرخون والباحثون من البحث وفق المناهج الصارمة في الوثائق والشهادات المتعلقة بحرب التحرير ، يمكن عندئذ للمخرجين والكتاب ورجال المسرح تجسيد حياة القادة العظام لحرب التحرير من خلال أعمالهم . وفي انتظار ذلك ، احتفظ بذكرى شعب جزائري موحد شارك بصورة كاملة في هذا الكفاح العظيم ضد المحتل الذي استولى على أراضيه وهويته . وهؤلاء وعلى غرار من عاشرتهم في الثانوية هم جزء من النخبة المثقفة ، بعضهم كانوا عمالا أو فلاحين ، أصبحوا قادة وبعضهم الآخر مجرد مسبلين وفدائيين أو مجاهدين على قدم المساواة من حيث الجدارة بالنظر للتضحيات التي قدموها لتحرير البلاد من الهيمنة التي ظن الكثيرون أنها أبدية .

صور ووجوه في قلب معركة تلمسان

ثمـــانية رجـــــال وشعـــب

بالرغم من الابحاث التي قمنا بها ، وقعت أخطاء في اسماء المشاركين ، لذا نناشدهم معذرتنا .

صور ووجوه في قلب معركة تلمسان

ثمـــانية رجـــــال وشعـــب

الممثلون جميعهم من الهواة باستثناء مصطفى شقراني الكوميدي المحترف .

دونيس مارتيناز ، رسم بطريقة جد مشابهة جميع شخصيات الدورية ، وستوضع صورة الممثل ، إلى جانب كل رسم .

الشخصيـــــــات

- مصطفى شقراني في دور رشيد قائد المجموعة .
- كمال بن حبيب في دور رابح نائبا له .
- عبد العزيز طالب في دور صابري ، الطالب الشاب .
- عبد المجيد سكال في دور فضيل ، الإسكافي .
- رمضان بوزواني ، المدعو سيد أحمد معزوز في دور محفوظ الفلاح .
- مصطفى زردومي في دور حسين ، من قدامى الهند الصينية .
- دونيس مارتيناز في دور لطفي ، الفنان .
- عمر كراوتي ، بواب في ثانوية عمر في دور سعدان ، الطفل الشرير سابقا .
- هيلين فينوت في دور زينب ، وتقوم بدور الفتاة .
- م زيميرمان في دور الكونونيل دارغيلا .
- الكونونيل كزافييه (متعاون) .

مصطفى شقراني : رشيد

دونيس مارتيناز : لطفي

كمال بن حبيب : رابح

عبد العزيز طالب : صابري

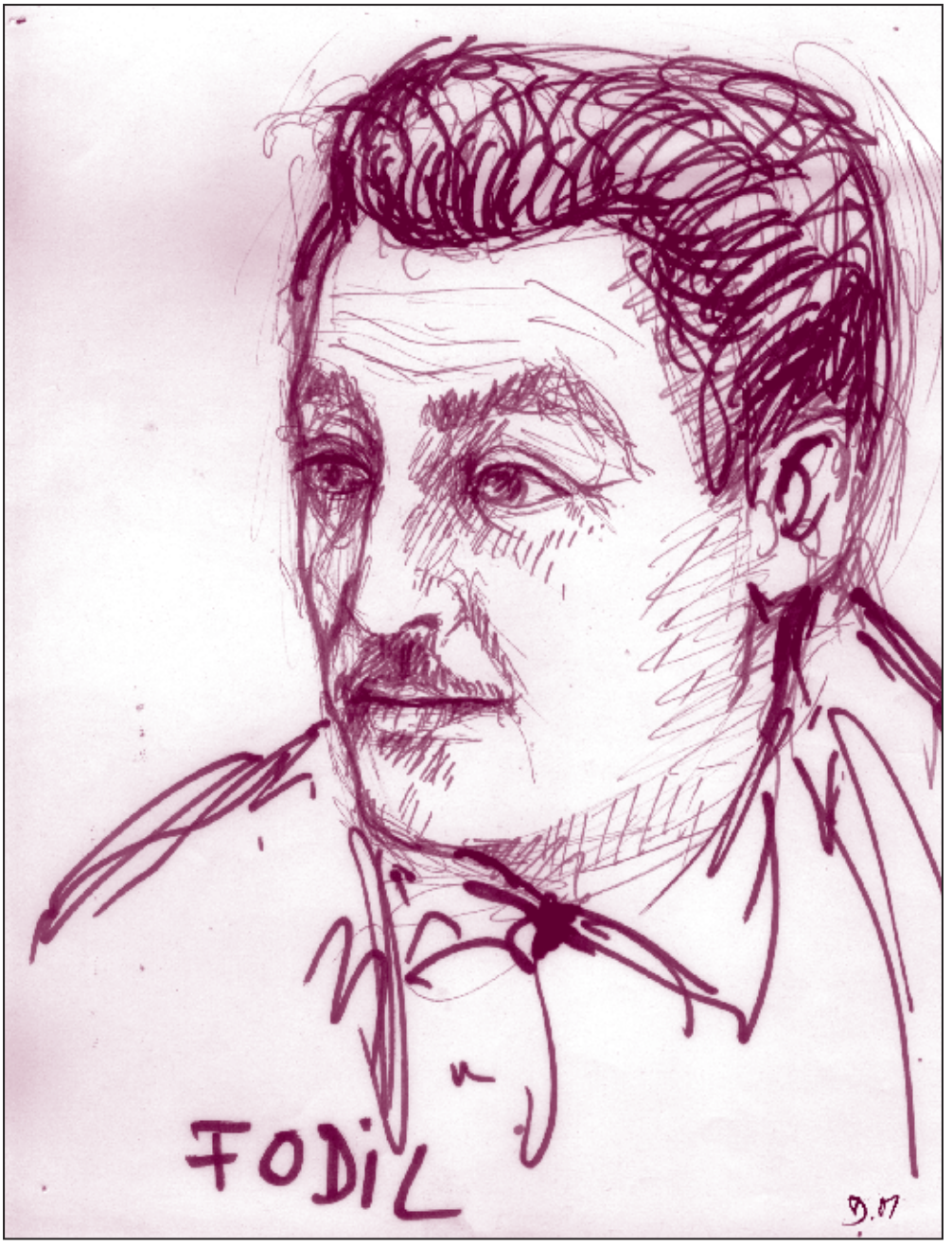

عبد المجيد سكال : فضيل

مصطفی زردومي : حسين

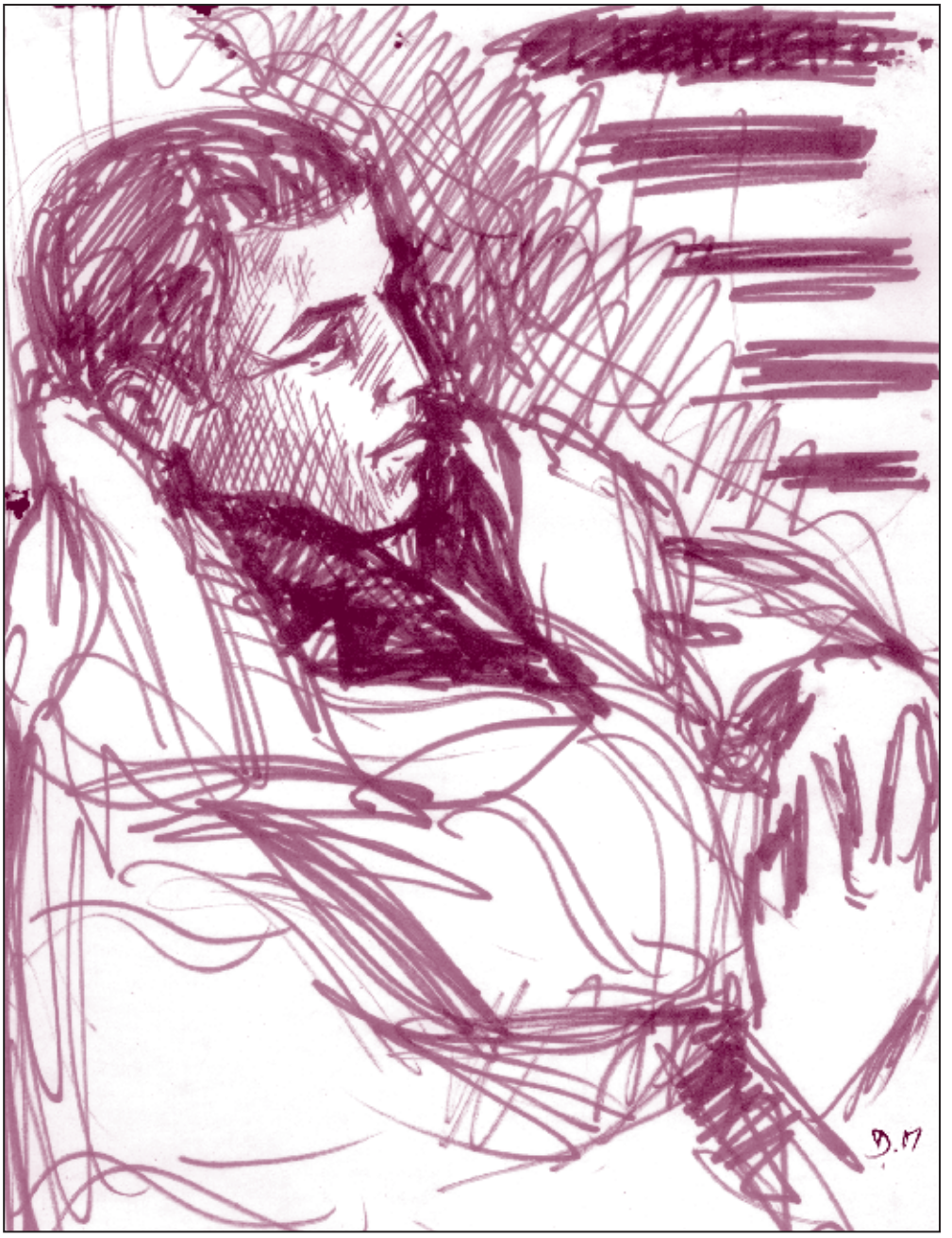

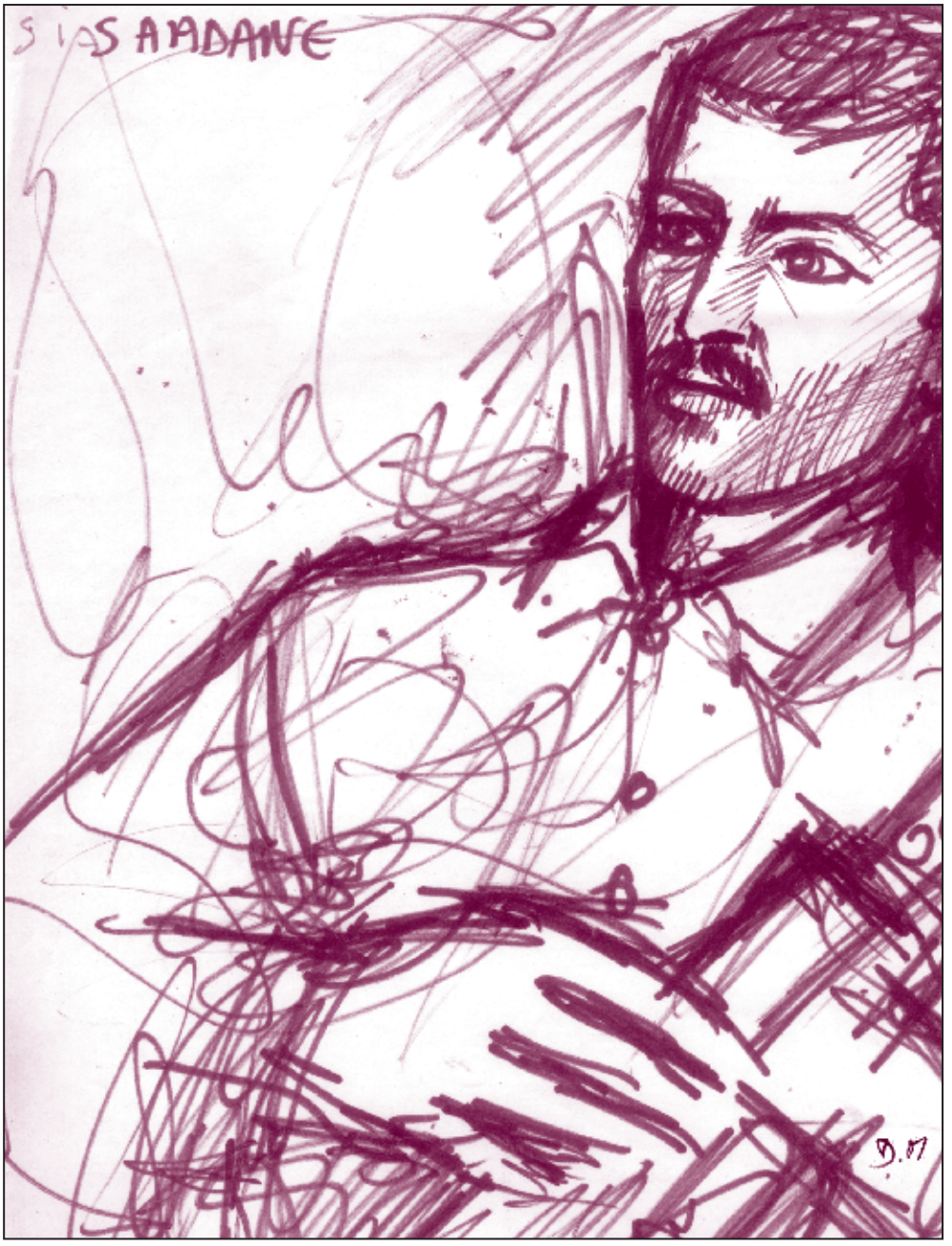

عمر كراوتي : سعدان

هیلین فینوت : زینب

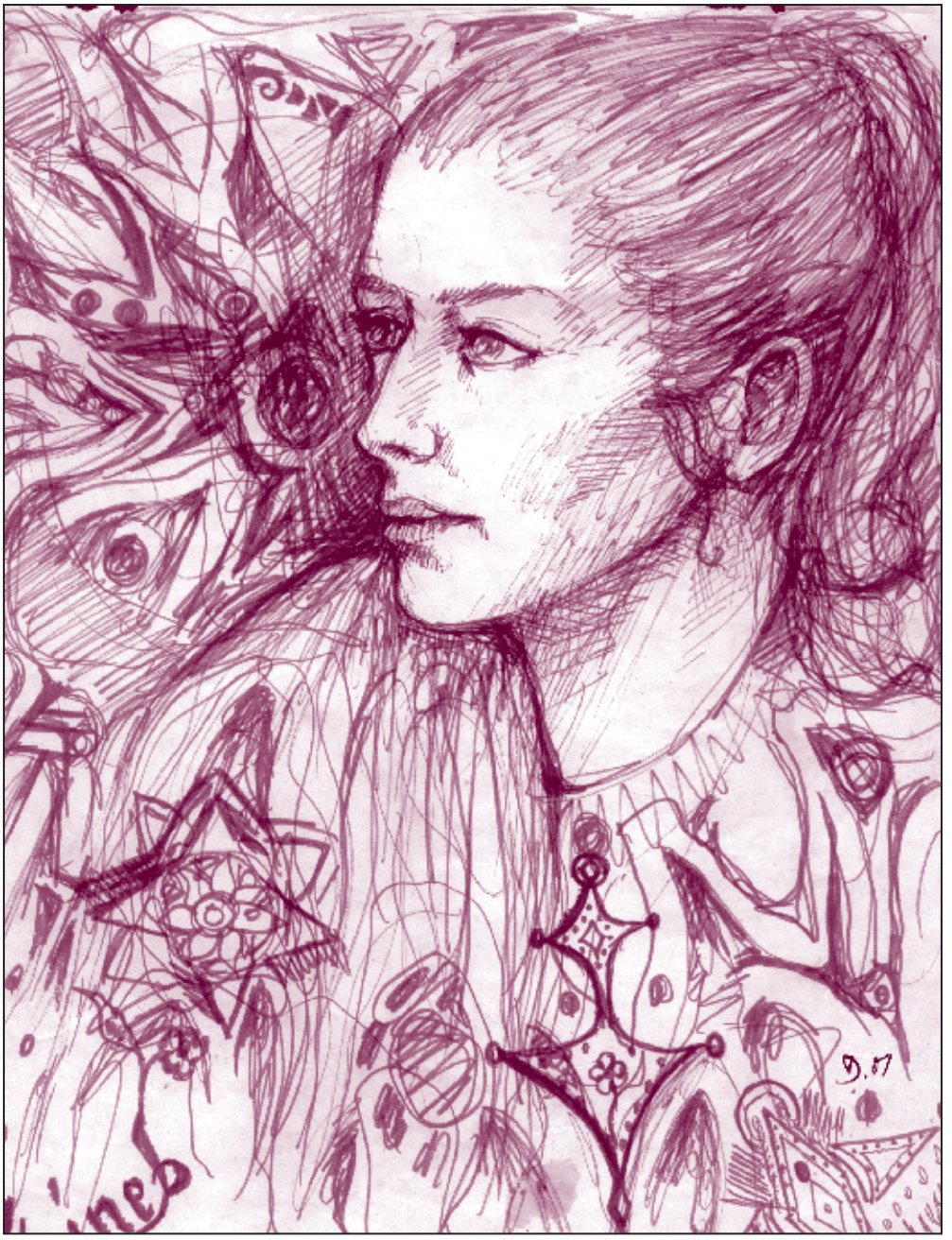

رمضان بوزواني : محفوظ

تلمسان ، رمضان 1956

مقدمـــة الفيـــــلم

في غرفة شبه مظلمة في الطابق تحت الأرضي لعمارة عسكرية ، جنود فرنسيون يمارسون التعذيب الوحشي على سجناء جزائريين . ضابط كبير يدير المناورات الخسيسة للاستنطاق ، سنعرف لاحقا أنه الكونونيل دارغيلا ، يخاطب أحد الفدائيين الشباب في حالة تأثر شديد من شدة التعذيب الذي تعرض له بعد . كان يسحبه بعنف من شعره .

دارغيلا : « من هو عون الاتصال الخاص بك في الجبل ؟ ما اسمه ، أريد اسمه ، وسأتركك في سلام » .

يغمى على الضحية تحت التعذيب .

يخاطب دارغيلا الجلادين قبل خروجه .

دارغيلا : واصل العمل ، أنا في حاجة ماسة إلى هذا الاسم . لقد خسرنا حوالي 24 ساعة وسيكون للآخرين الوقت لإعادة تشكيل تنظيمهم وأضاف : « تخلصوا من الآخرين ، إنهم لا يهموننني إطلاقا » .

يغادر الغرفة في بداية الجنيريك .

الجنيـــــــريك

الخارجي ليلا/من ص 1 إلى ص 4

في هذه الليلة من ربيع العام 1956 ، عبرت مجموعة من المحاربين تتكون من حوالي عشر رجال الجبل المطل على المدينة . كان الطقس باردا جدا ، وكان الزمن شهر رمضان والمدينة تعيش لحظات صعبة للغاية . توقيف العديد من عناصر المقاومة . وعلى إثر التعذيب الوحشي الذي تعرضوا له على يد القوات الاستعمارية ، تم تفكيك العديد من شبكات الفدائيين التي تنشط في المدينة من طرف قوات القمع . تواترت عمليات التفتيش الدقيقة وبموازاتها تم خلق مناخ حقيقي من الرعب واخضاع السكان للاضطهاد الممنهج . ولذلك كان يجب الضرب في قلب النظام من أجل تغيير معسكر الخوف وطمأنة المواطنين حول قدرة تنظيم جبهة وجيش التحرير الوطني .

المشهد الخارجي نهارا/مدينة تلمسان

يتجول في المدينة رجل بدون هدف على ما يبدو ، يضع نظارات ويرتدي معطفا أسود اللون . ويبدو من مظهره أنه من أعيان المدينة . يتوقف أمام كشك لبيع الجرائد ، يلقي نظرة خاطفة على الصحيفة الجهوية صدى وهران . يتجمد في مكانه . « لقد حانت اللحظة » ، تمتم في قرارة نفسه . أثار انتباهه في عنوان ما نشيت الإعلان ، عنوان فرعي يشير إلى تفكيك شبكات إرهابية في تلمسان ، وعنوان آخر يشير إلى حفل استقبال سيجمع في اليوم نفسه مسؤولي مصلحة المكتب الثاني لمدينة تلمسان بمناسبة ترقية رئيسهم الكونونيل دارغيلا . وجاء في المقال ، أنه بهذه المناسبة ، سيقدم لهم خليفة دارغيلا .

يكشف **المشهد الخلفي** عن رجل ضخم نرى ثلاثة ارباع ظهره أمام كشك لبيع الجرائد يمد قطعة لبائع الجرائد ويبتعد وهو يطوي الجريدة لكي يضعها في جيب معطفه .

المشهد الأمامي . عند وصوله إلى أمام مكتب البريد ، ألقى نظرة سريعة من حوله . اطمأن ، ثم دخل وتوجه نحو شباك من أجل اقتناء قطعة معدنية ، تحدث باقتضاب مع الشابة العاملة في الشباك . دخل إلى مقصورة الهاتف وأغلق الباب بعناية . (نراه يتكلم لكننا لا نسمعه ، نظرا لوجود الكاميرا على الجانب الآخر من الزجاج) بدا الرجل في حالة تركيز ووجهه متوتر .

ويبدو من اشارات يديه أنه يجادل من أجل اقناع محاوره . ولدى خروجه من المقصورة ، توجه نحو العاملة في الشباك وسلمها الجريدة التي كانت بحوزته وقد سجل بعض الكلمات في زاويتها العليا على اليمين . تقترب الكاميرا حيث يمكننا أن نقرأ : »الخشب مزهر » وستدور المقدمة حول هذه اللقطـــة .

اغلاق اسود

اللقطـــة الثانيـــة

ليلا/ص 1 إلى ص 29 آخر بطاقة للجنيريك .

تسلط الكاميرا الضوء على مجموعة من الرجال يسيرون ليلا في غابة كثيفة . يتقدم هؤلاء الرجال في صفوف متباعدة وبأقصى سرعة ممكنة في الغابات غير الكثيفة

بتفادي الاشجار المقطوعة والادغال . توقفوا عند حافة الغابة لأخذ قسط من الراحة وهم يقتربون الواحد من الآخر . وكان الذي يبدو أنه قائدهم يقوم باستطلاع في الأفق ويعطي اشارات بالانتظار ، كان القمر يضيء الميدان الذي سيعبرونه . لقد أشار إلى مكان مشجر غير بعيد عنهم قائلا لهم إنه « مكان اللقاء » ، « تقدموا بحذر وعند أدنى انذار انبطحوا أرضا » وفي هذه الأثناء اختفى القمر .

« هيّا بنا » لقد كان قادته قد حذروه من احتمال القيام بمهمة بالقرب من تلمسان وطلبوا منهم البقاء في الاستعداد مع رجاله . إنه السبب الذي لأجله غامر بالتواجد بالقرب من منطقة نفوذ الكونونيل دارغيلا .

وفجأة ، وبينما كان يتقدم باتجاه ذلك المكان المشجر ، سمع صفيرا يشق سكون الليل . . توقف رئيس المجموعة ، واستلقى جميع الرجال وسط الأعشاب . . ثم قام بالصفير بدوره ، ليتم الرد عليه بصفير مطابق ، إنها الاشارة .

وهكذا ظهر الرجل الذي اعلن عن نفسه من بين الأشجار . **الخروج من الحقل**

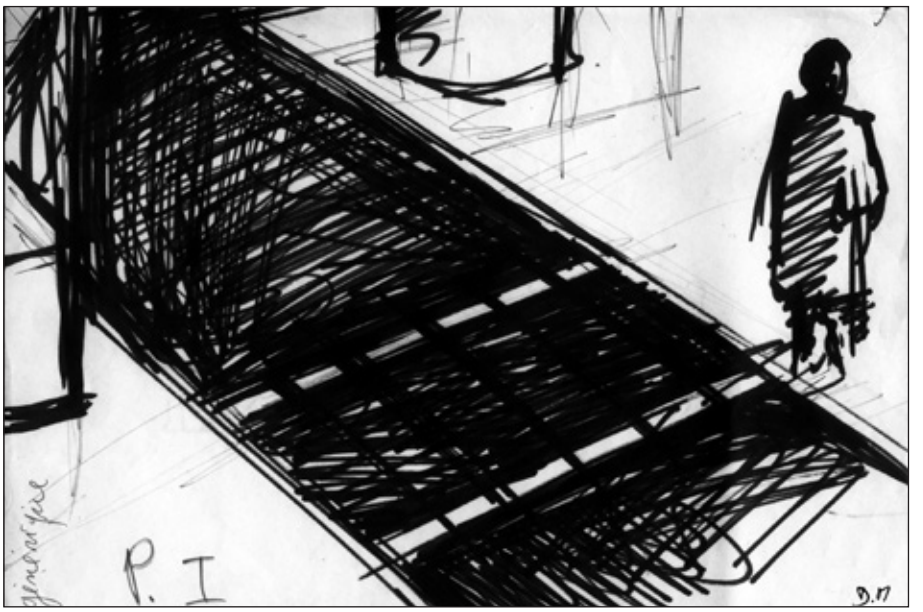

اقترب المحصّل من المجموعة وقدم لها التحية ، رد عليه الرجال ، صافح بعضهم ثم سلم رسالة مغلقة إلى رئيس المجموعة .

رئيس المجموعة : « بما يتعلق الأمر ؟ »

المحصّل : « مهمة في المدينة ، لكنني لا أعرف أكثر ، كل شيء في هذه الرسالة ، إنها رسالة مشفرة بطبيعة الحال وفي انتظار ذلك ، تعال من هنا ، هناك منـزل

حيث يمكنكم أخد قسط من الراحة في هذه الليلة حيث تركت بعض الأغراض التي طلبوا مني احضارها » . القائد : « حسنا ، هيا بنا نذهب ! على أي حال لا يمكننا أن نشعل النار هنا لكي لا يرونا »

شرعت المجموعة في المسير وسط الغابة ، لتصل بالقرب من مبنى يبدو أنه قد تعرض للقصف . دخل الرجال بحذر إلى المنـزل المدمر وقاموا بتفتيش جميع الغرف أو ما تبقى منه . ألقوا نظرة على الغرف التي احتفظت بسقفها .

في مكتب البريد ، دحو يصور عاملة المحول الهاتفي

قام أحد أفراد المجموعة بغلق المنافذ لمنع رؤية النار التي سيشعلونها من الخارج .

القائد : « يتولى أحدنا الدور الأول في الحراسة . رد عليه صابري ، أنت الأصغر لك شرف البدء . افتح العين واصغ جيدا » تناول بقية أعضاء المجموعة قطعا صغيرة من الخبز واستلقوا على الأرض . لقد انكمشوا الواحد جنب الآخر لكي يفلتوا من البرد الذي يعذبهم . وبعد أن منحهم قسطا من الراحة ، نادى القائد على اثنين من الرجال ، نائبه والمتخصص في تفكيك الرموز .

القائد : « تعال أنت رابح وحسين من هنا لنرى ما حقيقة الأمر » .

لقد توجهوا إلى غرفة مجاورة لكي يتمكنوا من الحديث بهدوء وترك الرجال الآخرين يأخذون قليلا من الراحة . لقد عكفوا معا على فحص الوثيقة وهم يستمعون لبعض النكات تنطلق من الغرفة المجاورة من طرف رفاقهم قبل أن يناموا .

الرفيق : « ناموا ستحلمون قريبا بالتواجد في بيوتكم ، عندما أفكر أن هؤلاء الجنود الفرنسيين الأوغاد لديهم التدفئة المركزية » .

اندلعت بعض الضحكات ثم اعقبها الصمت...

أخرج حسين المتخصص في تفكيك الرموز ، قلما وورقة وبدأ في التمعن في الرسالة . وكان الاثنان الآخران ينظران في صمت حتى لا يربكان تركيزه ، ثم شرع بعد ذلك في الكتابة بسرعة كبيرة على الورقة التي سيقدمها بعد ذلك مباشرة للقائد .

رشيد : « شكرا حسين . ها هي الرسالة مفككة الرموز . اجمالا ، الأمر يتعلق بالقيام بمهمة في قلب مدينة تلمسان .

ويتساءلون أيضا لماذا تم اختيار هؤلاء الرجال بدلا من غيرهم . اتركهم ينامون لحد الساعة وسنقيّم الوضع معهم ونشرح لهم مغزى وتفاصيل المهمة غدا في الصباح الباكر » .

Seq.II
P.2 P.A.
Le chef de section s'arrête
D.M

P.3 P.A.
Le Motassil avance

Maison en ruine
P.7 P.M.

استلقى الرجال الثلاثة في المكان نفسه لكي لا يزعجوا رفاقهم في الغرفة المجاورة . وكان صابري أصغر أعضاء المجموعة لا يزال يتولى دائما الحراسة في الخارج . كان يطل على المدينة واضوائها التي تشع على السهل وهو مبهور و يتساءل عما سيكون عليه اليوم الموالي . وبعد بضع ساعات من الراحة ، استيقظ رشيد وتوجه نحو الغرفة المجاورة .

رشيد : « حسنا ، سأقوم بإيقاظ الرجال . . اتبعني يا رابح... »

تنقل لنا الكاميرا التي تتبع رشيد ورابح صورا بانورامية .

صورة رشيد وهو ينحني على أحد الرجال وينير وجهه بمساعدة مصباح ، قام بهزه طالبا منه بإشارة من يده بعدم الكلام ، ذهب رابح للبحث عن صابري الذي التحق بالغرفة وبدأ في ايقاظ بقية أعضاء مجموعته .

رابح : « حسين ! انهض »

تتجه الكاميرا نحو صابري ثم تتجول يمينا وشمالا لترافق رشيد ورابح .

يستفيق الرجال تدريجيا من نومهم .

رابح : « تعالوا من هنا...» .

يقف الجميع في صمت ، يتمددون ، يأخذون أسلحتهم ويتبعون رابح . يدخلون إلى الغرفة ليجدوا إلى جانب رشيد رجلا يحمل نظارات دائرية الشكل وذا هيئة متميزة ورجلا آخر بقي صامتا يجلس غير بعيد حيث يبدو أنه الحارس الشخصي للأول .

رشيد : « استعدوا ! »

يقوم الرجال بلملمة ملابسهم الرثة بعض الشيء ثم ينتصبون في اشارة تشبه التحية لهذا القائد الذي لا يعرفه الكثير منهم .

رشيد : « اخواني الأعزاء ، يشرفنا أن نستقبل قبل أن نشرع في العمل زيارة سي جابر الذي جاء لتشجيعنا وتقديم آخر تعليماته لنا » .

سي جابر : « اخواني الأعزاء ، لقد تلقيت للتو من قيادة الأركان الأمر بمهاجمة هدف عسكري في وسط المدينة . وبطبيعة الحال ، إن هذا العمل غير معتاد في مهامكم ، ولكن الأمر صادر من القيادة . لقد تعرض اخواننا الفدائيون في تلمسان في الأيام الأخيرة إلى قمع غير مسبوق . »

صورة تظهر وجوه الرجال وهم في حالة اصغاء كامل خلال عرض سي جابر .

سي جابر (يواصل) « لقد تعرضوا للتعذيب وفي أغلب الأحيان للاغتيال على يد الفاشيين من المكتب الثاني . إنه مركز هؤلاء السادة بالضبط الذي سنهاجمه . سيحتفلون اليوم بتغيير المسؤول و سيكونون بالتالي جميعا مجتمعين هناك » .

(مشهد صامت بينما الكاميرا تقوم بمسح للميدان والتوقف عند وجوه الرجال) :

سي جابر : « إنها عملية مثيرة سيكون من شأنها عقاب هؤلاء الجلادين وبالتالي تسجيل حضورنا الدائم .لقد اخترناكم طواعية لوجود شبه كبير بين أغلبكم وبين الأوروبيين عندما ترتدون الزي العسكري الفرنسي ، في حين سينظر للآخرين على أنهم من المجندين الجزائريين في اطار الخدمة العسكرية الاجبارية ، لكننا نحتاج إلى رجال يملكون العزم والقناعة للقيام بهذه المهمة الخطيرة وإني أعلم أنكم شجعان » .

تركيز على سي جابر .

سي جابر : « لديكم اليوم الفرصة لكتابة اسمائكم في سجل التاريخ وبالتالي تقدمون البرهان على أن الفدائيين شهداء المعركة الحضرية ما كانوا يقدمون التضحيات الجسام بدون أن يتعرض جلادوهم للعقاب .

ففي كل مكان في الجزائر ، من الشرق إلى الغرب ومن الشمال إلى الجنوب ، يتعزز الجهاد . ويقال إن مجمل قادة ثورتنا سيجتمعون في القريب العاجل من

اجل تحديد الخطوط العريضة للعمل في الأشهر القادمة . لقد حان الوقت بالنسبة لكم لتسجيل معركتكم في التاريخ . حفظكم الله وسدد خطاكم نحو النصر »

انسحاب سي جابر واختفائه في جنح الليل مع مرافقه بعد أن حيّا المجاهدين وتلقى التحية العسكرية .

وبمجرد خروج سي جابر ، استأنف رشيد الكلمة .

رشيد : « كما أشار المسؤول ، المهمة صعبة و لسنا على يقين من الخروج منها أحياء . فالثورة تحتاج إلى متطوعين للقيام بهذه المهمة الحساسة على الوجه الأكمل . لقد تم اختياركم جميعا ، بعضكم من أجل شكله الأوروبي وبعضكم الآخر وفقا لتجربته العسكرية السابقة . سوف لن يتعرفوا عليكم بسهولة . وعليه إذا كان أي واحد منكم يريد أن يتراجع ، فإنه بإمكانه أن يفعل ذلك دون خجل . فلا يزال هناك متسع من الوقت لاستبدال واحد أو اثنين من بينكم إذا لزم الأمر . إننا نحتاج إلى ثمانية رجال بأعصاب فولاذية ، وقد اخترنا كم لما أظهرتموه في الماضي القريب من شجاعة في المعركة ، حتى لو كانت المهمة الأولى من هذا النوع بالنسبة لاثنين أو ثلاثة من بينكم . فإلى جانب الشجاعة ، عليكم أن تبرهنوا هذه المرة على قدرتكم في التحكم في أعصابكم ، لأن الهدف هو وصول جميعكم إلى ساحة الانتصارات ، حيث سيقيم المحتلون الحفل وهم يعتقدون أنهم تخلصوا من المجاهدين في تلمسان» .

تركيز كبير على الرجال الثمانية الذين يوجدون في حالة تركيز مكتفين بإشارة خفية من الرأس ولكنها صارمة .

خيم صمت ثقيل على الجميع . أخذ كل عضو في المجموعة قليلا من الوقت من أجل « هضم » ورقة الطريقة التي سلمت إليهم . وإلى ذلك الحين لم يقم أغلبهم بمهام غير تلك التي جرت في الريف .

وبالرغم من أنهم يتدربون باستمرار ليكونوا على استعداد لهذا النوع من المهمات ، غير أنهم كانوا واعين بالخطر . لكنهم كانوا يحملون الدفاع عن بلدهم في القلب ويدركون

حجم وأهمية التضحية التي طلبت منهم . فالعمل الفدائي في المدينة يتم على المكشوف وبدون وجود غابة يمكن الانسحاب إليها بمجرد الانتهاء من العملية .

صابري ، ويمكن التعرف عليه من خلال شعره الأشقر الطويل ونظرته الصافية ، يبدو أنه الأصغر سنا في المجموعة ، ينظر إلى الأسفل ولم يبد أي اعتراض .

رشيد : « جيد ، رابح ، لطفي وصابري ، لقد كبرتم في تلمسان وتعرفون المدينة جيدا وكذا موقع الحواجز التي يتعين علينا تجاوزها قبل الوصول إلى هدفنا اليوم . لقد جئت إلى هنا أنا وحسين في بعض المرات . لقد تم اقتيادنا إلى إحدى المعسكرات ، ولم يكن الفرنسيون يرغبون فعلا في خروجنا ولا بالتالي في تواصلنا مع السكان المحليين .ولكننا كنا قادرين على الاستكشاف والتنسيق . إنهم أناس موثوقون سبق لهم استقبال إخوتنا خلال إحدى المهمات مع سي جابر . لقد كان صاحب الدار أحد المسبلين لدينا ووالدته حاجّة لبيت الله الحرام وعلى قدر كبير من الثقافة والورع .

قبل وبعد الساعة (ح) ستذهبون في ثلاث مجموعات تتكون من شخصين ، وسيقود كل فريق من طرف الذين يعرفون المدينة جيدا وكما سبق وأن قلت لكم ، سنشكل أنا وحسين المجموعة الرابعة . وبهذه الطريقة سنمر بدون إثارة الانتباه .

إن الساعة ح تعني الخامسة والربع من بعد ظهر اليوم ، أي بالضبط ساعة الافطار اليوم . وبهذه الطريقة ستتزامن صفارة الإنذار ويختلط الأمر على سامعها . ففي هذا الوقت يكون الجزائريون قد دخلوا إلى بيوتهم للإفطار وهكذا لن نتسبب في وقوع خسائر في الأرواح البشرية في صفوفنا . وسأترك الآن لـ رابح الأمر ليشرح لكم تفاصيل العملية . إنه يعرف الأماكن أفضل مني »

ينحني رابح على خريطة المنطقة التي يضيئها بمساعدة مصباح .

رابح : « هذا هو هدفنا : إنه نادي الضباط لساحة الانتصارات . »

يتبادل الرجال النظرات وهم يدركون على ما يبدو الصعوبات الحقيقية للمهمة .

رابح : « آ فهمتم الآن لماذا نتحدث عن المهمة الخطيرة ولماذا اخترنا كم ! لقد وجهت الدعوة إلى جميع الضباط لكي يقدموا لهم المسؤول الجديد .

لدينا هنا الفرصة لتوجيه ضربة كبيرة ، ولكن يجب علينا أن نقوم بتحضير أنفسنا بمنتهى الدقة . وهكذا ، ستتفرقون من هنا في مجموعات تتكون كل واحدة من فردين من أجل بلوغ نقطة الانطلاق وكل مجموعة تنطلق من إحدى هذه المواقع الأربعة (يوجه المصباح اليدوي وهو بواصل الحديث تباعا إلى تلك المواقع التي تؤدي جميعها إلى ساحة الانتصارات .

لقد حددوا بداية حفل الاستقبال على الساعة الخامسة مساء . فقد اختار قادة الجيش الاستعماري بالتأكيد ساعة الإفطار ، حيث يتواجد السكان في هذا الوقت في بيوتهم والضباط غير مدعوين بقوة لضمان الأمن . يجب أن تكونوا في الموقع قبل بضع دقائق من اعلان صفارة الإنذار إيذانا بحلول المغرب من أجل عدم لفت الانتباه » .

رشيد : « لقد تم حساب مسارنا عبر المدينة وفقا للساعة (ح) وقد قام المسبل الذي سنتوجه عنده بمعاينة عدة مسارات وسنختار واحدا منها . إن الهدف من هذه « الجولة » ذو شقين : تمكين سكان المدينة من التعرف علينا من جهة . ففي هذا الوقت يكون سكان المدينة بصدد الدخول إلى منازلهم من أجل الافطار أو بصدد القيام بآخر المشتريات . وحتى ونحن نرتدي ملابس الجيش الفرنسي ، سيتعرفون علينا لكوننا أبناء المدينة . أما الشق الآخر فهو القيام باستعراض للقوة عند الوصول إلى نادي الضباط لكي نظهر للأعداء ولأهلنا ، أن الثورة تتواجد في كل مكان وخاصة في المكان حيث لا يتوقع العدو » .

بعد فترة صمت قصيرة كان يلاحظ خلالها ردود فعل رجاله .

رشيد : « آه ، ملاحظة ، هل لديكم ساعات يدوية ؟ »

أومأ الجميع بنعم.

رشيد : « لقد حسبنا الوقت بشكل أوسع بالنسبة لمختلف المراحل ، غير أنه من المستحسن القيام بالتنسيق وتوخي الدقة ، فإذا لم تكن لكم أسئلة لحد الآن ، ها هي الملابس التي جلبها لنا المحصّل» .

sequence II
Piz.

وهو يخاطب المحصّل : « أحضر لنا بقية البدلات » .

حرك رشيد رأسه باتجاه رابح الذي استعاد الكلمة

رابح : « سأشرح لكم كيفية الوصول إلى أصدقائنا في انتظار ذلك »

تجوال خلفي للكاميرا التي تتابع تطور الموسيقى ، أصبحت نهاية الخطاب غير مسموعة أكثر فأكثر حيث غطت الموسيقي تدريجيا على صوت رابح الذي كان يشير على الرجال بأفضل المسارات التي توصلهم إلى الموعد المقبل . **من ضبابي إلى الأسود**

اللقطـــة الثالثـــة

النهار/ص 1 إلى ص 8

خرج الرجال الثمانية من مخبأهم الواقع خارج أسوار المدينة . كانوا يسيرون اثنين اثنين على مسافة معينة من بعضهما بعضا . كانوا جميعا يلبسون جلابة . كان رشيد وحسين يجرون حمارا حملته مغطاة ببساط يغطي كلاّ من القفصين .

حسين : « أتمنى أن المسبل الذي سيستلم الحمار وحمولته من الأسلحة لن يتسبب في تأخيرنا » .

رشيد : « لا تقلق ، عليك أن تثق في سي جابر ، لقد تولى تنظيم كل شيء وبدقة ، فالإخوة يدركون ما يقومون به ، ففي حال وقوع مكروه ، سيجدون حلا بديلا » .

حسين : « أنت على حق . لقد علمونا كيف نقوم بعملنا بشكل جيد وكذا التنسيق في كل شيء ، يجب أن تثق »

توسيع المشهد ، نهاية تصوير صابري وفضيل اللذان يتقدمان جنبا إلى جنب . وفي مكان أبعد ، يأتي لطفي وسعدان ثم رابح ومحفوظ . ويكون رشيد وحسين آخر من يمر . كان هناك عدد كاف من الناس في الشوارع بحيث يمكنهم الذوبان في المارة . وبعد مائة متر ، وبعد أن وصلوا بالقرب من أسوار مدينة تلمسان ، أخذوا اتجاهات مختلفة قصد تفادي نقاط التفتيش قدر الامكان وبلوغ هدفهم .

حسين ورشيد

رشيد

لطفي وسعدان

ويؤدي الطريق الذي سلكه رابح ومحفوظ إلى مكان بالقرب من معسكر للجيش . أبدى محفوظ نوعا من التقزز ، بينما كان رابح مبتسما ويظهر في صورة مغفل عندما حيّا أحد العساكر كان يمر في سيارة جيب .

محفوظ : « لا تبالغ كثيرا ، فقد تجذب الانتباه »

تتابع الكاميرا سيارة الجيب لحظة ثم تقوم بعد ذلك بتجوال خلفي لمرافقة الشريكين المتواطئين .

محفوظ : « يتنهد » ! .

رابح : « أ تدري ، أننا في بداية أولى انفعالاتنا » .

محفوظ : « يكفي أن تخطر على بال أحد هؤلاء الحمقى فكرة تفتيشنا لكي يتسبب في ردنا . . »

رابح : « لقد قلنا لا يجب استخدام السلاح قبل الوصول إلى نقطة اتصالنا » .

محفوظ : « لقد احتفظت بمسدس صغير فقط لاستخدامه عند الضرورة» .

رابح : « ما كان لك أن تفعل ذلك ، تخيل لو أنهم قاموا بتفتيشنا . يجب علينا تجنب تعريض مهمتنا للخطر بأي ثمن . ولكن إذا ما حدث ذلك ، سيفهم بقية الاخوة في الكوماندوس ذلك عندما يسمعون تبادل اطلاق النار المكثف . وفي هذه الحالة ، فإنه لا يجب علينا أن نقع بين أيديهم أحياء . لكننا لم نصل بعد إلى هذه الحالة » .

توجه الرجلان نحو المدينة **التي نكتشفها من الأسفل بطريقة تصوير افقية** . إنهم لا يزالون لحد الآن في الجزء الأعلى من المدينة .

وصل صابر وفضيل إلى حي القلعة وهم يسرعون الخطى ، ثم توجها نحو إحدى البيوت . كانا ينظران بشكل خفي حولهما حتى يتأكدا من أن لا أحد يتبعهما ، طرقا عدة نقرات على الباب الذي فتح بمجرد اعطائهما كلمة السر ، ثم تسللا إلى الداخل .

SEQUENCE III
P.I.

اللقطــة الرابعـــة

النهار/ص 1 إلى ص 28 ، مأخوذة لصابر وفضيل في الداخل

يفتح الباب على فناء أندلسي كبير مزين بمربعات البلاط القديم . تتقدمهم امرأة شابة وتدخلهم إلى غرفة يبدو أنها صالون هذه الفيلا . فإذا ديكور المدخل والغرف التي لمحناها كثيرة البهرجة ، فإن ديكور الصالون على قدر من التواضع حيث كان أعضاء

الكوماندوس الستة الآخرون موجودين بالداخل ، ويبدو أنهم يشعرون بالقلق . لقد نهضوا عند رؤية فضيل وصابري يدخلون .

رشيد : « حسنا ، لا تستعجلوا أيها الرجال ، إنه منتصف النهار والنصف ، وكان يجب أن تكونوا هنا منذ ساعة ، لقد فكرنا في الأسوأ ، فماذا حصل لكم ؟ »

فضيل (تنفس) : « لقد وقعنا في عملية محاصرة للحي من طرف الجيش الفرنسي . لقد قاموا بحملة تفتيش للقطاع . وبفضل الله وصلنا إلى المكان قبل بداية المحاصرة بفترة وجيزة ، وانتهى كل شيء على ما يرام بالنسبة لنا . غير أنه كان علينا الاختباء في كهف لمدة ساعتين حتى نهاية العملية »

صابري : « كان يبدو أنه قبو للنبيذ وأن الله حفظنا منه . لقد اختبأنا وراء البراميل إلى غاية سماعنا رحيل الشاحنات العسكرية »

سعدان : « من الواضح ، أنكم كنتم في مأمن ، لأنه لم يخطر على بال هؤلاء الأوغاد الذهاب للبحث عنكم هناك ! ،

لكن قل لي ، ألم تتعرضوا لإغراء تذوق شيء قليل ؟ » يقوم رشيد بوقف سعدان بإشارة غاضبة .

رشيد : « توقف عن قول هكذا حماقات . ولنعط الوقت لأنفسنا ، سنحتاج إلى 90 دقيقة للوصول لدى قارة تركي ، اخر رجال الاتصال لنا . سننطلق إذن على الساعة الثالثة إلا ربعا . لنأخذ قسطا من الراحة لكي نكون في كامل لياقتنا »

ظهرت سيدة المنـزل التي تبدو مسنة نوعا ما وهي تحمل صينية عليها الشاي وقطع من الحلوى ، ووسط الصينية طبق من الكسكسي .

SEQUENCE III
P5. P.M.S.
D.MARTINEZ

LES deux Hommes
descendent
vers la ville
sequence III
P.G. P.A
D. MARTINEZ

سيدة المنزل : « هيا يا أولاد ، اقتربوا قليلا ، إنكم تحتاجون إلى الأكل ، فلينصرنا الله على التحرر من المحتلين » .

كان يبدو على الرجال بعض الاحراج .

فضيل يحتج : « ليس هكذا . . ياحاجّة ! نحن في رمضان ولا يمكننا الافطار ، نحن كلنا مسلمون هنا . . »

سيدة المنزل : « لا أشك في ذلك يا أولادي ، لكن أنتم بصدد الجهاد وهذا ليس حراما عليكم ، بل من الواجب أن تفطروا ، يجب أن تكونوا في كامل قواكم عندما تخوضوا المعركة . »

وتستنجد هنا بحديث نبوي من أجل تبديد مخاوف الشباب المحارب .

سيدة المنزل : « حسب حديث رواه مسلم في 1120 ، قال النبي صلى الله عليه وسلم في إحدى الأيام إلى مرافقيه : ذات يوم يكون عليكم محاربة المعتدي ، والصيام سيفطركم لذا أفطروا ويقال أيضا أن علماء دمشق أصدروا فتوى من هذا القبيل عندما كانت مدينتهم محاصرة . »

يستدير حسين نحو لطفي مشككا .

حسين : « هل استمعت إلى الفنان ؟ إنه في القرآن ...»

لطفي : « ثم ماذا ، لو أنه مكتوب في الكتاب المقدس ، بسم الله . . » .

لافتة على فضيل .

فضيل : « هل تعتقدون أنه يمكننا أن نأكل ؟ »

سيدة المنزل : « بصحتكم يا أولادي وربي يوفق » !

ولم تكاد الحاجّة تنهي جملتها حتى سارع الرجال الجائعون إلى طبق الكسكسي ، مثلما تنهال الفاقة على العالم . . بسم الله ، غير أن فضيل واصل الحديث بعزم مثلما بدأه .

فضيل : « اعتقد أنه بإمكاننا أن نفعل ، لأننا إذا رأينا الزلابية على الساعة الخامسة فإننا قد ننسى سبب جولتنا في المدينة . »

أكلوا في صمت ، وحدها الملاعق التي كانت تتكلم .

وفي رواق المنزل ، كانت السيدة تقوم بتحضير القهوة ، أخذت فتاة الصينية وحملتها إلى الغرفة ، كان الطبق فارغا والرجال يبدون شبعانين .

رابح : « لقد أفعمتمونا حقا »

الفتاة : « كلا ، نحن سعداء باستقبال المجاهدين في بيتنا »

رابح : « شكرا ، أنتم غاية في اللطف »

ينهض رشيد على الفور ويتوجه نحو آلة ادارة الاسطوانات الموجودة في إحدى زوايا الغرفة . **تجوال قبل المرافقة .**

رشيد : « هل تسمح ؟ »

الفتاة تبتسم : « تصرف وكأنك في بيتك ، تعرفون البيت . . »

رشيد يرد على ابتسامتها ويبحث في حزمة الاسطوانات ، وعندما وجد ما يبحث عنه ، أخد الاسطوانة ووضعها في وضعية التشغيل .

رشيد : « شكرا »

تنسحب الفتاة وتترك الرجال بمفردهم .

نسمع أغنية ياطويل الرقبة للمطرب أحمد وهبي ، بدا رشيد في حالة تأثر بالأغنية المأساوية ، بينما ا نساب الآخرون مع سحرها وهم صامتون يتناغمون مع الموسيقى بعد وجبة لذيذة لتبديد القلق الذي يراودهم جراء المهمة التي تنتظرهم ، استلقى بعضهم ودخل في اغفاءة ، غير أن النقاش سيستأنف بعد حين بصوت خافت في البداية ثم يزداد حدة .

محفوظ ورابح يتحاوران بدون توقف .

رابح : « لقد مضى وقت طويل لم أر المدينة ، وهذا سيخفف عنا . . وإلا سنعود ثانية لزيارتها . »

محفوظ : « أتدري ، إننا لا نخشى على حياتنا في الجبل أكثر مما نخشى عليها في المدينة . »

رابح : « أنا مسرور للذهاب للمدينة ، أتدري ، أنه باستثناء الهواء المنعش للجبل ، أشعر نوعا ما أني سجين المكان ، وهنا اشعر وكأنني اتذوق طعم الاسترخاء للمرة الأولى منذ عامين ، إنه نوع من التهدئة ، وبعد كل شيء ، أنا ابن المدينة وها أنا استعيد الكثير من الذكريات . »

محفوظ : « ماذا كنت تعمل قبل الصعود إلى الجبل ؟ »

رابح : « كنت استاذا مساعدا في ثانوية تلمسان وقد نظمت بمعية إخوة آخرين المظاهرة التي اعقبت اغتيال الشهيد الدكتور بن زرجب رحمة الله عليه من طرف المصالح الاستعمارية . »

عودة إلى الخلف .

يواصل رابح : « لقد توجهنا بالآلاف إلى مقبرة تلمسان لتوديع هذا المناضل الذي عالج أهلنا وكان يحرر ويطبع المناشير الثورية في عيادته الطبية ، كما كان ينقل للمناضلين الأوامر التي تأتي من رؤسائنا في الجبال . لقد كانت اللحظة الأكثر إثارة للمشاعر والأكثر قوة عندما شرع الحشد أمام عامل العمالة ورئيس البلدية سفيو الموشحان بالعلم الثلاثي الألوان ، في الهتاف بعبارة سوستال قاتل وذلك قبل أن يصدح بنشيد من جبالنا . لقد كنا نشعر جميعا بقشعريرة تعبر أجسادنا يا أخي ، فلا شيء كان بإمكانه ايقافنا .

ومن إحدى زوايا المقبرة خاطب رجل الحشد الحاضر طالبا منهم التخلي عن التبغ والكحول ، عندئذ شرع الناس في رمي علب الشمة والسجائر . وفي تلك الأثناء كانت الشاحنات العسكرية تقوم بإنزال المئات من رجال شرطة مكافحة الشغب المدججين بالبنادق الآلية الذين اخذوا أماكنهم حول المقبرة . وفي لحظة معينة ، أعطى لنا أحد المنظمين الأمر بالخروج لتفادي استفزازات القوات الاستعمارية . لكن وعند باب المقبرة ، قام أفراد شرطة مكافحة الشغب باستخدام الهراوات وضرب الحشود بالقوة ، وهكذا تفرقنا هربا بجلدتنا . لقد كان ذلك اليوم نقطة تحوّل في المعركة التي تقودها تلمسان ضد الاستعمار . »

وفي المنـزل ، **تنتقل الكاميرا** بين محفوظ ورابح .

محفوظ : « هل تم التعرف عليك ؟ »

رابح : « إيه نعم ، لقد أصبحت وضعيتي لا تطاق في الثانوية ، كنت محل متابعة دائمة من طرف رجال الشرطة السرية وتلقيت الأمر بمغادرة المدينة وذلك قصد تفادي التعرض للتوقيف . »

محفوظ : « قل لي ، أنت مخ إذن ؟ »

رابح : « أتدري ، ليس هناك اليوم مثقف ولا فلاح ولا عامل ، ولا تمييز ديني وعرقي ، هناك فقط من يرفضون نير الاستعمار والقمع مهما كان مصدره ، إنهم على الرحب والسعة في صفوف الثورة ، فالجزائر تحتاج إلى جميع الذين اختاروا معسكر الحرية » .

محفوظ : « ليس لي ما أقوله يا خويا ، أنت تتكلم ببراعة ! ، أنت محق ، جزائرنا تحتاج إلى كل الذين يحبون الحرية وعندما نكون أحرارا ، ستكون الجزائر بلد الرجال والنساء الأحرار . »

يواصل محفوظ : « أنا لا أحب المدينة ، واعتقد أن المدينة لا تحبني هي الأخرى . فالأهم يتم في الريف وليس في المدينة ، إن ثورتنا هي ثورة زراعية على غرار المسيرة الصينية الكبرى .

رابح : « إنه لصحيح أيضا أن الأغلبية الساحقة من الجزائريين يعيشون في الأرياف والجبال ، فلماذا إذن تشارك في هذه الحملة في وسط لا تشعر به ؟ »

تركيز الكاميرا على محفوظ .

محفوظ : « لأنني أرغب في اعطاء درس لهؤلاء الأوغاد ، ثم إنني اعتقد أنه من المهم الابقاء على جزء من الجيش الاستعماري في المدن الكبرى ، ولهذا يجب

الدكتور بن عودة بن زرجب

علينا أن نساعد إخواننا الفدائيين الذين بفضلهم تم ثتبيت جزء كبير من العساكر الفرنسيين في المراكز الحضرية وهو الأمر الذي يتيح لنا نوعا من الاستراحة . . »

رابح : « لقد فهمت كل شيء ! ولهذا يعتبر عملنا اليوم من الأهمية بمكان ، إنه عمل موجه لإبقاء الضغط على القوات الاستعمارية وارغامها على البقاء في مكانها . »

وفي زاويتهما ، كان صابري وسعدان ولطفي يتحدثون فيما بينهم .

صابري : « إن ما أرغب في رؤيته ثانية هو ثانويتي التي تحمل أجمل ذكرياتي ، لقد غادرت تلمسان بعد أن ألقيت قنبلة خلال حفل لتوزيع الجوائز ، وتم اكتشافي وهكذا غادرت المدينة بدون أخد جوائزي . »

لطفي ساخرا : « أية جوائز ؟ . »

صابري : « جائزة التربية البدنية . »

ضحك الرجال ملء قلوبهم .

صابري : « لا تهزأ ، سأروي لكم كيف تم ذلك ، قبل أسابيع من ذلك ، طلب البواب من سبعة من أصدقائنا الثانويين من الأقسام الكبرى بالذهاب لدى ناظر الثانوية وهناك وجدوا أنفسهم أمام رجال الشرطة من المكتب الثاني . لقد قالوا للناظر إنهم يريدون استنطاقهم وفقط ، لكن في اليوم الموالي ، تم عرضهم في حي ساحة المسمكة من طرف العساكر وأجسادهم مثقوبة بالرصاص وعليها آثار تعذيب فظيع . وردا على ذلك ، طلب مني الإخوة القاء تلك القنبلة في المجرى الذي يمر وراء المنصة . »

لطفي : « وأنت سعدان ، من أين جئت ؟ من المدرسة الداخلية . »

سعدان : « إن أردت ، داخليتي لم يعد لها وجود ، كنت مجندا و أؤدي الخدمة العسكرية في معسكر السبخة . وفي إحدى الأمسيات وبمعية إخوة جزائريين فررنا من الخدمة واتصلنا بإخواننا وفي ليلة واحدة تركنا فراغا في المعسكر وحملنا معنا السلاح والذخيرة . وفي كل الأحوال ، فإنهم يحبذون جيدا القاء القبض علينا . »

لطفي : « ستبقى تلك الليلة خالدة في التاريخ ، إنها تثير انفعالي ، أحك لنا قصة هذا المعسكر وكيف تمكنتم من عدم لفت انتباه القوات الفرنسية ؟ »

سعدان : « لا اعرف جيدا كيف أسرد ذلك ، لكنني سأحاول . »

عودة إلى الخلف ، في البداية كان صوت سعدان صامتا .

(بقية الحركة يمكن أن تكون محل لقطة يعاد فيه تمثيل الهجوم على معسكر السبخة) .

فيفري 1956

سعدان يروي : « إنه قائد قيادة الحدود من أعطى الأمر بالاستيلاء على جميع السلاح والذخيرة في المعسكر .

لقد كانت هناك اتصالات كان يتولاها تاجر من السبخة ورقيب من الجيش الفرنسي . أتذكر أنه يدعى زوبير ، غير أنني لا أتذكر لقبه العائلي .

إنه رجل عظيم ، لقد كان مكلفا بمعية عساكره بمراقبة وحماية القوات الفرنسية التي كانت تقوم بالدوريات في المنطقة ، أتدري ، لقد تمكن في لحظة معينة من بعثرة عساكره بحجة البحث عن الفلاقة ودخل بمفرده إلى إحدى البيوت حيث كان في انتظاره هناك مجموعة من المسؤولين عن جيش التحرير الوطني . ففي تلك اللحظة تم التحضير للعملية وقد علمت كل هذا لاحقا . لقد كنا داخل المعسكر وكنا مجموعة معينة ترغب في الهروب . لقد جرى ذلك في التاسع عشر من فيفري 1956 واعتقد أنني سأتذكره دائما ، لقد حاصر جنود جيش التحرير الوطني المعسكر . لقد كانوا حوالي ستين رجلا . وفي الداخل ، كان زوبير قد قام بتذكير الذين كان على يقين من استعدادهم وذلك لتفادي لفت انتباه الضباط الفرنسيين إلى وجود حركة غريبة في المعسكر وذلك بشغلهم بألعاب الورق والدومينو .

وعندما وصل المجاهدون إلى مدخل المعسكر ، انضمت مجموعة الزوبير بكاملها إلى جيش التحرير الوطني وذلك بإطلاق الرصاص على الضباط الفرنسيين .

وتحت تأثير عامل المباغتة ، تم القضاء على جميع أفراد المعسكر . لقد أخدنا مخزونا كبيرا من السلاح والعتاد اللوجيستي والمؤونة أيضا . لقد بلغ عدد الفارين خمسة وخمسين ومن بينهم خادمكم ، لقد سقط هناك شهيد واحد » .

لقدى بدا لطفي متأثرا بهده الوقائع الحربية .

لطفي : « إنه لأمر غريب كون جبالنا تحتاج بالفعل لهؤلاء الرجال الشجعان ولكن أيضا للسلاح الذي كان لا يزال من الصعب الحصول عليه ! »

صابري : « يمكنني أن أقول لك في جميع الحالات ، أنه عندما أرى رؤوس الضباط الفرنسيين في القطاع يجعلني أتمنى لو أنني شاركت في ذلك العمل . »

حسين : « لكن ، كل هذا من الماضي ، اليوم بانتظارنا مهمة كبيرة ومجيدة هي الأخرى »

لطفي : « إن ما ترويه لي يمنحني الكثير من الشجاعة والإيمان والرغبة في القيام بأكثر مما انجزه إخوتنا ، فأنا لست سوى رسام وشاعر ولا يمكنني رسم صورتك ، فقد يحتمل ترك آثار ، أما عن الشعر فليس المكان المناسب بالضبط أنا رجل مثقف ، وعندما يستدعي الأمر في مواجهة العنف المفروض علينا ، اعرف كيف أتحمل مسؤولياتي والمساهمة في الكفاح . »

وكان صابري المتواجد بدوره يوجد بالقرب من سعدان ، ينحني لكي لا يسمع صوته من طرف الآخرين ويسأل جاره .

صابري : « قل لي سعدان ، لماذا لا نطلق على القائد تسمية هوشي منه ؟ .

سعدان : « أحذر حتى لا يسمعك ! إنه لا يحبذ أن نتكلم ولا يريد أن نذكره بهذا الماضي ، إنه صاحب غضب سخيف عندما نعارضه ، فهو من قدماء الهند الصينية وحسين وأنا أيضا ولكنني لم أكن في المعسكر معهم .»

رابح : « رشيد كان برتبة مساعد في الجيش الفرنسي ويعرف عمله بشكل فادح ورجال مثلكم ، قدموا لثورتنا تجربة كبيرة في كفاح المقاومة . لقد شاهدوا كيف تتصرف

القوات الفرنسية في وسط مناوئ وهذا يساعدنا كثيرا على مواجهة هؤلاء العساكر الاستعماريين .»

سعدان (يقاطع حسين) : « أحك لنا كيف غادرت آخر إقاماتك الفخمة .»

حسين : « لقد فررنا أنا ورشيد من المعسكر حيث احتجز الفرنسيون الجنود الجزائريين الذين عادوا من الهند الصينية بعد هزيمة ديان بيان فو . »

عودة إلى الخلف ، أفريل 1956 ، قبل وقت قصير من الهجوم على النادي العسكري .

حسين يستعرض ذكرياته : لقد قاموا بتجميعنا نحن الرماة الجزائريين عندما عدنا من الهند الصينية في خيام على أرض خالية بالقرب من مصنع الزرابي لوهران ، حيث يلعب الأطفال كرة القدم . لقد قام أعضاء من التنظيم المدني لتلمسان بالاتصال برشيد الذي ادخلهم إلى المعسكر بتواطؤ مع رماة آخرين وقاموا بتحييد القليل من العساكر الفرنسيين المتواجدين هناك في تلك الأثناء .

صرخ رشيد : ارفعوا أرفعوا أيديكم عاليا جميعكم وكفى ، كما في فيلم ويسترن ، انها لقطة غريبة حقا ! .

لقد قاموا بتقييد العساكر ثم بكسر أقفال مسند الأسلحة ، وكان هناك عضو في الكوماندوس قصير القامة يحمل بندقية من طراز 86 أطول من قامته وكان ذا شجاعة خارقة للعادة . لقد كان في غاية السرور في أن يترك بندقيته القديمة ويأخذ أخرى من نوع ماص 36 مكانها . ولدى مغادرة المعسكر ، طلب رشيد من بقية العساكر : من يريد الالتحاق بنا وبالثورة ؟ ، ارتفعت العديد من الأيادي ، غادرت المجموعة وهي تحمل كمية مذهلة من الأسلحة والبدلات العسكرية الفرنسية المفيدة جدا لنا الآن .»

عمر كراوتي

صابري : « ولماذا لا ينادونه دائما بالأخ ؟ »

سعدان : « لا أعرف حقيقة الأمر ، لكنه يكون قد ترك العديد من الذكريات غير المريحة هناك . . أ تعلم أنا لست ذكيا مثله ، لكنه ليس من السهل أن تكون مرغما على الكفاح مع جيش احتلال ضد أوناس لا يطالبون سوى باستقلالهم ،

كما هو الشأن بالنسبة لنا آ ليس كذلك ؟ . ثم إنه بفضل انتصار الفيتناميين في ديان بيان فو الذي جعل الشعوب تقول : الاستعمار وبالرغم من أسلحته وقواته يمكننا أن نهزمه . ففي الماضي كان هناك دائما من يقول : تريدون محاربة فرنسا ؟ لكن بماذا ؟ حسنا ، لقد اثبت الفيت-كونغ أنه من الممكن . »

سعدان : « لا يمكنك أن تتصور عدد المناضلين الوطنيين الذين زادت عزيمتهم عندما سمعوا في الراديو خبر سقوط ديان بيان فو واحتقارهم لفرنسا . لقد عدت إلى البلد بعد ديان بيان فو وبقيت في الجيش النظامي إلى غاية ذلك الهجوم الشهير على معسكر السبخة .»

ينهض رشيد (**تجوال الكاميرا إلى الأمام**) واعادة الاسطوانة ، ثم العودة إلى الجلوس بالقرب من حسين .

حسين إلى رشيد : « وأنت أيها القائد ، آ ليس لك شيء تريد اعادة مشاهدته هناك ؟ .»

رشيد مدهوشا ومحرجا : « أنا ، لكن...لا شيء ! ولا أحد حتى .»

حسين : « يبدو أنك تعرف المنزل...وبطبيعة الحال هذا لا يعنيني ...»

رشيد : « ليس لي أية ذكريات معينة في تلمسان ، لقد شاركت في ضربتين مؤلتين في هذه المدينة وهكذا عرفت بعض الأشخاص ومن بينهم الذين استقبلونا . لقد كانوا بالفعل ظرفاء معنا . إنهم أناس استطعنا الاعتماد عليهم دوما .»

ولكي يضع حدا للحنين الذي يهدد بغزو الرجال وينتقص من عزيمتهم ، نهض رشيد ، ليطلب منهم الاقتراب والإنصات إليه . يمسك رشيد بخريطته ويواصل الشرح الذي كان قد بدأه خلال فسحة راحتهم السابقة .

رشيد وبعد أن نظر إلى ساعته : « لقد ثرثرنا بما فيه الكفاية لحد الآن ، ولقد حان الوقت للتفكير في قضيتنا . اغلقوا الباب واقتربوا قليلا . »

رشيد يقدم لهم أوراقا يأخذونها الواحد تلو الآخر .

رشيد : « سنرتدي ملابس مدنية ، وها هي أوراق الهوية التي استخرجت لكم ، احفظوا جيدا الأسماء والألقاب الموجودة على البطاقات في حالة ما إذا طلبوها منكم في الحواجز . سيزودنا مسبلينا وأعوان الاتصال بالأسلحة بواسطة جهة اتصال أخرى بمجرد ما نعبر الحواجز ، فلسنا في حاجة إلى المجازفة .لقد قدم لنا مضيفنا عدة مسارات ممكنة وقد اخترت واحدا . أفضّل أن نستخدم المسار نفسه وذلك بتجزئة انطلاقنا وهكذا لن يكون هناك فارق زمني كبير عند الوصول . وفي حال وجود مشكل مع إحدى المجموعات سنعلم به على الفور . سيكون لزاما علينا المرور عبر أربعة حواجز مختلفة . هنا وهناك وفي ذلك الشارع (وهو يشير إليها بالأصبع على الخريطة للمناطق الخطيرة) هل استوعبتم نوعا ما . موعدنا الساعة الرابعة والربع لدى الخياط وهي المحطة الأخيرة ، وعندها سأعطيكم تفاصيل مخططنا وكيفية تنفيذه ، فلا داعي لمعرفة الكثير قبل المرحلة النهائية . سننتظر نصف ساعة لدى قارة بعد استلام الأسلحة التي سيجلبها لنا المسبلون من المدينة وذلك من أجل ضبط الترتيبات .

وبطبيعة الحال ، علينا أن نغير في الاستراتيجية والهدف إذا ما وقعت إحدى المجموعات في اشتباك . وعليه يجب أن تكونوا على درجة عالية من الحذر والتخفي . فإن لم نكن جميعنا هناك سنقوم بتطبيق المخطط ب وذلك بالانسحاب نحو مخبئنا الثاني . وفي حالة ما إذا تم القبض على اثنين منكم بعد الحاجز ، تظاهروا وكأن العساكر الفرنسيين يطلقون النار وعندها سنعلم أنكم دخلتم في اشتباك . قارة على علم في حالة عدم وصولي أنا ، سيعرف ماذا سيفعل في هذه الحالة . نحن جميعا متفقون ؟ »

تركيز الكاميرا على الرجال الذين وافقوا .

التركيز على رشيد من زاوية معاكسة

رشيد : « حسنا ، كان الله في عوننا ! كلمة أخرى ، سنخرج من هنا في عدد زوجي كل عشر دقائق حتى لا نلفت الانتباه .»

اللقطة الخامسة

نهارا/بعد الظهر ص من 1 إلى 13

يخرج الرجال الأوائل من المنـزل بعد التأكد من خلو الطريق .

صابري وفضيل يخرجان في بدلة مدنية ، فضيل يبدو أنيقا ويمر بدون عناء ، فالبدلة تلائمه جيدا وقرب موعد العملية يحفزه .

يقترب رشيد وحسين من الحاجز الأول ويمران بدون مشاكل تذكر .

وبعد لحظات يظهر لطفي وسعدان ، يشير عليهما العسكري بالتوقف وفي الأخير يأذن لهما بالمرور ، ثم جاء دور رابح ومحفوظ وكان كلاهما يمتطي دراجة هوائية . يتوقفان عند الحاجز ويحييان العسكري الذي يشير على رابح بالمرور ويوقف محفوظ في المقابل ثم يتركه يذهب . . يقوم هذا الأخير بإبداء إشارة من عينه إلى رابح .

محفوظ : « اطمئن لقد تركت مسدسي لدى الحاجّة وسيأتون به لنا . »

يستعيد رابح تنفسه ويشعر بالارتياح لعدم احتفاظ محفوظ بسلاحه .

وفي هذه الأثناء ، يصل فضيل وصابري بالقرب من مركز المراقبة .

تجوال الكاميرا المرافقة نحو الخلف ، حيث يظهر صابري مضطربا .

فضيل : « هل لديك خوف ! » .

صابري : « نوعا ما ! » .

فضيل : « استرخ واضحك قليلا . . وسترى أن كل شيء سيتم على أحسن ما يرام . »

يقوم العسكري بتوقيفهما ، يلقي فضيل بنظرات قلقة نحو مرافقه .

العسكري : « الأوراق ؟ »

يقلب الأوراق ويتمعنها بحذر .

فضيل : « إننا ذاهبون إلى المدرسة... »

العسكري : « هل تسخر مني أ ليس كذلك ! »

فضيل : لا يا سيدي ، نحو ذاهبون إلى الدروس المسائية . »

العسكري : « سترى ، إن واصلت هكذا سأرسلك إلى القسم من أجل دروسك ! »

فضيل : « لا يا سيدي ، لدينا الكثير لنعمله اليوم . »

تجوال كاميرا المرافقة ، صابري وفضيل يبتعدان عن الحاجز .

صابري : « أنت مجنون ، أ ليس كذلك ؟ »

فضيل : « لكنك ميت من الخوف يا صديقي ، استرخ ، فعندما نكون في حالة الاسترخاء سيكون لنا حظ أوفر في المرور بدون لفت الانتباه . »

يتوقف فضيل في مفترق طرق لكي يشاهد مرور فتاة جميلة .

يعود صابري على أعقابه للبحث عنه .

صابري : « لكن ليس هكذا ، أ تريد أن يمسكوا بنا . »

فضيل : « اعتقدت أنها شقيقتي . »

يستأنف السير وصابري يرد عليه :

صابري : « شقيقتك ؟ »

فضيل : « هل تعلم أنني ضعيف البصر ، لكنها تشبه شقيقتي ، هل أدركت الانفعال »

صابري : « يفترض أن تكون شقيقتك لابأس بها لأنني لست قصير البصر كما تعلم »

فضيل يوقف صابري بمرفقه .

صابري و جندي فرنسي

صابري و لطفي في نقطة مراقبة

فضيل : « انصت ، ماذا قلت لشقيقتي ؟ إذا كان الأمر من أجل الزواج حسنا و إلا... »

صابري أكثر استرخاء لحد الآن : « إذا نجحنا ، فإني أرغب فعلا في الحديث معك ثانية »

عندها ينفجر فضيل ضحكا : « حسنا إذن ، لن تخسر شيئا في الانتظار ، لا تغضب يا صديقي ، هي الأكبر مني ويمكنني أن أكون والدك »

يبتعد الرجلان بالظهر ويختلطان بجمهور المارة الذين يتنقلون للقيام بمشترياتهم قبل مدفع الإفطار . أظهر فضيل لصابري نقشا صغيرا للإسكافي .

فضيل : « انظر ، صابري ، هنا حيث بدأت أعمل في سن الثالثة عشرة لمساعدة والدي الفقير . . ففي القبو تعلمت صنعة الموسيقى الأندلسية وجميع أشعار العروبي التلمساني وكنت اعزف جيدا على آلة العود »

عودة إلى الخلف

الطابق تحت الأرضي للإسكافي 1955

نشاهد المتمرنين مجتمعين وهم يعزفون نوعا من الموسيقي العروبية من التراث التلمساني « عذبتيني » .

كان فضيل في الوسط يغني ترافقه اصوات عوده وهو يبدي موهبة مؤكدة .

يظهر رئيس الإسكافيين في أسفل سلالم الورشة وهو رفقة شخص مجهول .

الإسكافي : « أصدقائي ، لدينا زيارة مسؤول في جبهة التحرير الوطني ولديه بعض الأشياء يقولها لكم .

يتوجه الرجل للعمال ويذكرهم ببعض القواعد المعتمدة من طرف جبهة التحرير الوطني .

زعيم الجبهة : نعيش جميعا فترة تعبئة والثورة تحتاجكم جميعا . أقول لكم ما قلته للأخرين : يتعين علينا وقف عزف الموسيقى وحتى الأعراس يجب أن

تكون بدون حفل موسيقي وعليه أدعوكم جميعا إلى تعليق آلاتكم على الحائط إلى غاية الانتصار التام على الاستعمار . »

الاسكافي : « كل هذا يجب أن يبقى سرا بيننا بطبيعة الحال . وهناك أمر ثان وهو أنه من الآن فصاعدا لا أريد أن أرى أي واحد منكم يدخن في الورشة . لقد منعت الجبهة التبغ الذي يمنح موارد للدولة الاستعمارية . اشربوا الشاي واطردوا المحتل وبعد ذلك سيكون كل شيء مباحا في بلدنا عندما يصبح حرا . »

لقطة خارجية نهارا/تلمسان في 1956

يصل الرجلان بالقرب من محل الخياط ، يتجاوزانه من أجل التثبت من العنوان ، لقد أرادا التأكد من أنهما غير مراقبين وأن المحل كذلك . ثم يعودان على أعقابهما ويدخلان إلى العمارة بسرعة .

اللقطـــة السادســـة

من الداخل : نهاية اليوم/محل الخياط ص 1 إلى ص 7

يدخل الفدائيان إلى محل الخياط ، يغلق الخياط بسرعة الباب ويقلب اليافطة المكتوب عليها مغلق . كان الرجل بصدد مراقبة مدخل المحل ، يقف خلف الطاولة الكبيرة من الخشب التي تسمح ببسط القماش عليها وقياسه وهو يضع شريط القياس حول رقبته و مساكة الدبابيس على شكل سوار ، يقوم بتعديل بدلات عسكرية سلمت له من قبل . يتوجه رابح نحو فضيل الذي وصل للتو .

رابح : « انظر لهذه البدلات ، لقد قمنا باستعادتها أثناء الهجوم على معسكر مصنع الزرابي لوهران . »

وبإشارة من الرأس ، يشير الخياط على باب يقع في مؤخرة القاعة ، يمرون إلى مؤخرة المحل ويبقون مذهولين أمام رشيد وحسين وكان رابح بعد في الغرفة وشعرهم محلوق إلى درجة الصفر وكذا ذقونهم الحليقة عن قرب وفي الزاوية رجل يقوم بحلاقة شعر محفوظ . وفي هذه الأثناء يطل لطفي وسعدان ، يتبادل الرجال التحية .

رشيد في زي جندي فرنسي

بدا رابح في حالة نرفزة وهو يخاطب آخر الرجال الذين وصلوا : « إن لم تكونوا على أتم الاستعداد فلا داعي للاستمرار... »

يقترب رشيده ويضرب على كتفه ويبتعد قليلا .

رشيد : « لا تهتم ، كل شيء سيتم على ما يرام ، نحن جميعا هنا إنه فال خير »

رابح : « من هو الشخص الذي سيلقي القنابل على النادي لتحضير هجومنا ؟ »

رشيد : « كلا ، كلا لن يلقي القنابل ، قد يؤدي ذلك إلى إفساد الخطة ، يجب أن ينقلهم إلى غاية الساحة وانتظار وصولنا حتى يكون الهجوم منسقا بشكل محكم ، وسيكون هو من سيعرف بنفسه ، إنني لا اعرف من هو ، لكن علينا أن نثق به »

رابح : « لا أحب أن أكون تابعا لأحد لا أعرفه ،لكن أنت محق علينا أن نثق به »

يعود نحو المجموعة ، وهنا يغتنم فضيل الفرصة ليطلب من رشيد سبب تغيير شكلهم ووجود غريبين على مجموعتهم ، يومئ عليه رشيد بالانتظار .

رشيد : « إنها مرحلتنا الأخيرة وقد حان الوقت الآن أن نقدم لكم التوضيحات حول مخططنا .

فإلى حد الآن وحتى لا يكتشف أمرنا ، غيرنا الملابس عدة مرات ، وسنقوم مرة أخرى بتغيير المظهر ولهذا الغرض نحتاج إلى صديقين نثق بهما وسيساعدوننا على إدخال التغييرات الضرورية على مظهرنا . »

يتوقف لحظة في انتظار جلوس صابري لكي يباشر الحلاقة .

الحلاق : « أنت صابري ، سيتعرفون عليك بسرعة بشعرك الكث ، العسكري يتميز بشعره القصير يا عزيزي . »

قطّب صبري وجهه وهو يشاهد خصلات الشعر الأشقر المغرية لرشيد وهي تسقط عل وجهه ، بينما هو ينظر في ساعته . **تركيز الكاميرا على الساعة .**

رشيد : « إنها الساعة الخامسة إلا ربعا . »

يتجه نحو المجموعة ويقوم بتوزيع السلاح ، احتفظ بمسدس في خصره

وعهد بقطع السلاح من نوع طومسون لقدامى المحاربين من ذوي الخبرة العسكرية ، حسين وسعدان ، ورشاشات من نوع مات 49 على البقية .

يستأنف رشيد : « حسنا . سننفذ الخطة A هل تتذكرون تدريباتكم والتعليمات التي اعطيناهالكم ،أعول عليكم في تطبيقها بحذافيرها وذلك من صميم مهمتنا . »

وبمجرد الانتهاء من عملنا وتحقيق هدفنا بالكامل ، يتعين علينا أن ننسحب بسرعة و نتفرق . وعلى كل واحد منا أن يسلك الشوارع الصغيرة للوصول إلى مكان اللقاء في مركز المدرس لدى آل مسلي . وسيكون على الشرفة الواقعة فوق المنـزل ، ثلاث قطع قماش بالألوان الثلاث ، الأحمر والأبيض والأخضر ، يجدر التوقف عندها ، حذار لن تبقى إلى غاية السادسة مساء . وفيم يلي كلمة المرور بعد النقر على الباب والتعريف بأنفسكم . فإذا رأيتم أن المسالك مسدودة من طرف الدوريات الفرنسية أو أنكم تجاوزتم الوقت ، فلا تترددوا في التوجه على الساعة الثامنة مساء إلى سيدي الحلاوي في حديقة عمر ، الجأوا إلى تخشيبة محطة الخدمات حتى لا تلفتوا الانتباه . سيكون مسلي هناك لكي يقدم لنا المعلومات عن الرفاق الذين يكونون قد مروا على بيته . وسوف يعتبر أي متخلف عن هذا الموعد الثاني كرجل مفقود . والآن استعدوا . »

وجه صابري يبدو مجمدا من التأثر وبلا شك من الخوف يقترب سعدان من صابري الذي يقوم بإشارة .

سعدان : « إنها المرة الأولى . »

صابري : « نعم إنها أول عملية لي في المدينة ، لقد التحقت بالجبل قبل وقت قصير . »

سعدان لـ صابري : « لا تهتم ، سترى أنها ستتم على ما يرام وستصبح بطلا وستكون هناك موسيقى . »

اللقطـــة السابعة

نهاية اليوم/ابتهاج في المدينة (رمضان) ص 1 إلى ص 9 .
لقد تم تصوير هذا المشهد في 22 أفريل 1969.

على الخامسة إلا عشر دقائق ، يظهر الخياط على عتبة محله من أجل الإغلاق .

يعود الخياط إلى الداخل ، ليقدم آخر توصية للمجموعة :

الخياط : « سأترك الستار الحديدي نصف منكس وسأبقى هنا إلى غاية نهاية العملية . وعند الضرورة ، ستعرفون أنني هنا في الداخل ، لقد جلب لي ولدي فطوري ! هيا ، أعانكم الله ونصركم على العدو . »

ينـزل الخياط ستاره الحديدي قليلا ويلقي نظرة يمينا وشمالا . كان ولده رفقة الحلاق في زاويتي الشارع يقومون بالرصد ، ويشيران عليه بحركة من اليد أن الطريق خال . يرد هو بإيماءة من الرأس . وبعد عدة ثوان لاحقا ، تخرج دورية متكونة من سبعة أشخاص من محله . وبالتمعن جيدا في وجوههم ، نتعرف على رشيد ورفاقه . إنهم يرتدون ملابس الجنود الفرنسيين ويضعون القبعات على أكتافهم ماعدا رشيد الذي كان يضع قبعته البيريه . كان يقف بجوار الدورية التي يقودها . كان رشيد يقود الدورية ويحمل في خصره حزاما ومسدسا ، أما البقية فيحملون مسدسات رشاشة من نوع ماط 49 وطومسون استعادوها مع الملابس من محل الخياط . بدى رشيد هادئا جدا وعلى ثقة كبيرة استمدها بلا شك من تجربته . كان نظره يجول شمالا ويمينا وهو يخترق الأماكن ويركز على أدق التفاصيل التي لم تكن تفلت منه . لقد ضاعف تركيزه الشديد من قوة حواسه ، فليس هناك شيء يشغله غير مهمته .

مشهد خلفي بتبع رشيد .

مشهد بانورامي يمينا ويسارا اليسرى لبقية الرجال في صف واحد تعلو وجوههم الصرامة ، وكنا نلمح لطفي يتحرك والسعادة تغزو محياه بسبب وجوده في شوارع المدينة وسط

دويه . لقد أدرك أحد باعة الزلابية وهو يشاهد المنظر أن شيئا خطيرا يجري التحضير له . بدأ للتو في حزم أمتعته ، سأله جاره عندما رأى رشيد .

التاجر الثاني : « ماذا أصابك ؟ تذهب في الوقت الذي تستطيع أن تبيع أكثر »

رشيد يحدق فيه بإمعان .

يواصل التاجر الأول رزم لوازمه .

وتقوم الكاميرا بتقديمه في مشهد جانبي .

التاجر الأول : « أنا سأذهب ، أريد أن أتناول شربتي ، أعتقد أنه سيكون هناك صخب »

التاجر الثاني : « كيف عرفت ذلك ؟ » .

التاجر الأول : « دعني أقل إنني منجّم نوعا ما ، إنه لمريح أن تكون لهم بدلات عسكرية وأن يكونوا من ذوي البشرة البيضاء ، إن هؤلاء الرجال هم من أهلنا ، إنني أعرف خرّوب بلادي » .

وفي الوقت نفسه كان الرجال في الدورية ، قد تخلصوا نوعا ما من الضغط وشرعوا في إطلاق النكات لتخفيف الضغط والتوتر الذي بدأ يسكنهم .

لكنهم كانوا حريصين على البقاء غير مبالين ، ينظرون إلى الأمام ويتحدثون بدون اكتراث . صاح فضيل من أعلى كتف حسين .

فضيل : « كم أنت وسيم ! » .

سعدان بدوره : « ألا يذكرك هذا بالهند الصينية ؟ » .

يبتسم حسين بسخرية : « نعم ، ولكن لم نكن نحظى بإعجاب أكثر من هذا ، آ تعلم أننا كنا على الجانب الخطأ من السياج » .

تجوال الكاميرا نحو الخلف .

صبري ينفعل : « لكن يجب وقفها في النهاية ! سنلفت الانتباه » .

حسين : « بالضبط إذا ما قلقنا سنجلب الانتباه الينا ! » .

بدأ الشارع يفرغ لدى مرورهم **مدد**

تجوال جانبي للكاميرا ، وكان رابح الرجل الأول في الدورية

رابح : « قل لي أيها القائد ماذا ينبغي أن يفعلوه في هذه اللحظة » .

رد رشيد : « سيقومون بإحياء الحفل... » .

اللقطـــة الثامنة

في الداخل ، نهاية اليوم/صور بانورامية من ص 1 إلى ص 5

داخل نادي الضباط كان الحفل جاريا على قدم وساق .

ثلاثون ضابطا يرتدون الزي الاستعراضي وحوالي عشر نساء بلباس الحفل في غدو ورواح في القاعة . وكان هناك رجال آخرون بالزي المدني يتواجدون أيضا في القاعة . وكانت هناك على منصة صغيرة فرقة موسيقية صغيرة تقوم بعزف موسيقى رقصة الفالس بينما كان بعض الأزواج يرقصون ، في حين تم إعداد بوفيه في زاوية أخرى من القاعة .

كانت **الكاميرا تصور مشهدا بانوراميا** رجلين يتحدثان .

تركز الكاميرا على البوفيه حيث بدأت الزجاجات الفارغة تتكدس إلى جانب الصحون القذرة . كان الرجلان يحاولان القيام بالخدمة الذاتية .

الضابط 1 : « آوه . .أدع إذن إلى تناول الوجبات الباردة ، كما هو الحال في أمريكا . . »

وفي وسط إحدى المجموعات ، يرفع ضابط كأسه ويقترح قرع الكؤوس .

الضابط 2 : « أرفع كأسي على نخب الكونونيل دارغيلا الذي قام بعمل ملحوظ في ميدان التهدئة والتطهير في مدينتا الصغيرة » .

تجوال الكاميرا يمينا وشمالا ونقل مشاهد الأشخاص الحاضرين وهم يرفعون كؤوسهم و يستمعون إلى مديح الكونونيل دارغيلا .

الضابط 2 يواصل : « بفضله وبفضل عمله في التحري والاستعلام ، خلصنا من المجموعة الإرهابية التي كانت تزرع الفوضى ، فقد أصبح السكان من الأوروبيين

يشعرون أكثر بالأمن والمسلمين أدركوا أين توجد الصرامة وهم يحتاجونها وكذا إلى معرفة واضحة لمن يحكم في هذا البلد وأنه لن يكون هناك تمرد على الإطلاق .

شكرا للكونونيل دارغيلا مع تمنياتنا له بالمزيد من النجاح في مهامه الجديدة .

والآن وقت الفرح والسلام المستعاد ! »

لقطة في نادي الضباط

اللقطـــة السابعة

خارجي/الغروب/ص من 10 إلى 17

تواصل الدورية الكاذبة طريقها عبر شوارع تلمسان ، » رشيد يردد أغنية ياطويل القايمة « التي بقيت عالقة في رأسه وهو يلقي بنظره يمينا وشمالا خفية . **يستأنف شريط الصوت الأغنية ويغطي على ضجيج الشارع** .وبينما الدورية تتقدم في الشوارع ، كان المارة الفضوليون يرمون أعضاء الدورية بنظرات خاطفة وكان أغلبهم يرون فيهم مع بعض التفاصيل الصغيرة على أنهم جنود فرنسيون قدموا من الضفة الأخرى للمتوسط . وهذا طفل يدفع صديقه بكوعه ليرد عليه لطفي برمشة عين متواطئة ، انحنى الطفل الذي بدى سعيدا على صديقه وهمس في أذنه ببعض الكلمات ثم أطلقا العنان لرجليهما بسرعة فائقة .

اقترب رابح من رشيد... نظر هذا الأخير في ساعته .

رابح : « كم الساعة الآن »

رشيد : « الخامسة وخمس دقائق ، لا يزال لدينا بعض الوقت ، سنقوم بجولة إلى أسفل المدينة ! »

رابح : « هل تعتقد أنها ستكون حذرة ؟ »

رشيد : « أكثر حذرا في جميع الحالات من البقاء في مكان قريب من هدفنا ، ثم أنها ستظهر للسكان أننا متواجدون في الميدان . »

اللقطـــة الثامنة

مشهد من الداخل/أثر الليل/مشهد بانورامي باتجاه نادي الضباط ص من 6 إلى 11

في هذه الأثناء ، كانت الاوركسترا لا تزال تعزف موسيقى الفالس في نادي الضباط وبعض الأزواج يرقصون وبعضهم الآخر يتبادلون أطراف الحديث . لقد استطاع الضابطان اللذان سبق لنا رؤيتهما ، جمع بعض الطعام وتناول كؤوس من النبيذ ، كان أحدهم يشرح لمحاوره بعض الأشياء التي كان يستمع إليها مازحا .

لقطة في نادي الضباط

وكان الرجل المعني بالأمر يميل بعض الشيء إلى اللون الرمادي ويبدو أن ذلك يدفعه ليكون أكثر جلاء وتهورا .

الضابط الفرنسي : « أوركسترا من طراز كبير ووليمة فاخرة وكل شيء يبعث على الإعجاب :

إنها حياة القصر يا عزيزي ، غير أن أوركسترا سيئة وحضور من العساكر ونساء عساكر ، وأكل عبارة عن وجبة باردة ، إن هذا يا زميلي العزيز اكبر إهانة تلحق بالثقافة الفرنسية التي تسوق نفسها بطريقة سيئة وفي جميع الحالات فإن ممثليها من العوام . إن قلعتنا ليست إلا ناديا كولونياليا . صدقني إن فرنسا منذ سقوط الملكية وهي ليست على ما يرام ، أما بالنسبة لي فلا أشعر بالراحة هنا ، فلست ملتزما متطوعا ، لدي شعور مسبق أننا في فخ هنا ، لكن لا علينا فلنشرب... » .

وبينما واصل في التملق ، فضل رفيقه الذي شعر بالحرج أن يختفي ، و هوما استدعى بعض الوقت من الضابط الليبرالي لكي يستفيق . أدرك فجأة أنه وحده ، هز كتفيه وتوجه نحو البوفيه لمواصلة ما كان قد بدأه وبشراهة معهودة لكي ينسى وضعيته العبثية .

في الداخل/النادي/المنصة .

نسمع ضجة طفيفة ، يتنقل الموسيقيون إلى مؤخرة القاعة لكي يتركوا مساحة فارغة أمام الميكروفون . يدق رجل بيديه مطالبا بالصمت . أخذ الكونونيل الذي يدير المكتب الثاني عندئذ الكلمة من أجل تقديم خلفه :

الكونونيل دارغيلا : أيها السيدات والسادة ، يسرني أن أقدم لكم الكونونيل كزافييه الذي سيخلفني في هذه المدينة الساحرة . إنني أشعر بحزن عميق لمغادرة هذه البلدة الصغيرة التي تعلقت بها ، ولكنني أستطيع الذهاب وقلبي منشرح لكون السكان بين أياد أمينة »

في المأدبة ، يحتسي الضابط كأسا
وهو يتمتم بطريقة توحي بالخيبة .

الضابط : « يبدو لك ، شارل... »

مشهد أمريكي . .

الكونونيل ، واصل كونونيل دارغيلا : « الكونونيل كزافييه هو قائد جوقة الشرف ،لقد برز خلال المقاومة ضد المحتل النازي ، ولم يتوقف اطلاقا عن شجب الأنظمة التي تقوم على العنف والتعصب . لقد حمله الكفاح من جبال فرنسا الحرة إلى الهند الصينية وحاليا في جبال الجزائر حيث يلتزم مثلنا جميعا بالعمل على انتصار القانون العادل والحرية التي ولدت من التقاليد الثورية الفرنسية . إنني على يقين أنه سيعرف كيف يعيد النظام لكي تصبح هذه البلدة جوهرة الامبراطورية الاستعمارية الفرنسية .إن الكونونيل كزافييه يملك جميع الصفات لينقل للعصاة هذه الرسالة ولا تنسوا أننا ندافع هنا عن الحضارة الغربية ضد البربرية » .

الضابط المنتشي لجاره : « يا له من نفاق ! الأعيان المسلمون لهذه المدينة هم أكثر تحضرا ولباقة من هذه المجموعة من الوصوليين »

يبتعد جاره بحذر بينما الضيوف يصفقون بأدب . وبإشارة من ضابط عزفت الأوركسترا مقطعا موسيقيا ليبدأ بعض الأزواج في رقصة الفالس .

تسليط الضوء على الساعة التي تشير إلى التوقيت 17سا 06

اللقطـــة السابعة

نهاية اليوم والتركيز على ساعة رشيد ص 18 إلى ص 53 .
يكشف المشهد الخلفي لتجوال الكاميرا على الدورية التي كانت تتقدم في نفس أجواء يوم الصيام في وسط حي شعبي .

نحن الآن نقترب من الغروب والحركة تقل في الشوارع أكثر فأكثر . التجار ينـزلون ستائر محلاتهم ، بينما يسرع بعض المارة الخطى للدخول إلى منازلهم وأطفال يلعبون في الشوارع .

صابري : « وأنتم يا رفاق آلا تشمون رائحة الشربة ؟ » .

وجه فضيل الذي كان يتواجد وسط الدورية التي دخلت إلى محيط المنطقة المخصصة وهو يقف وراء لطفي كلامه لسعدان .

فضيل : « قل لي إذن يا سعدان آلا ترغب في القيام بجولة إلى مزرعتك ؟ »

تجوال الكاميرا من الخلف لمرافقة فضيل ولطفي وسعدان .

سعدان : » مزرعتي... ! كانت ذات يوم ، صاحبة بيت الدعارة التي كانت تقدم المعلومات للجيش . لقد نزلت بعد أن تم الاتصال بي من طرف الإخوة في التنظيم وبناء على طلبهم ، لست الوحيد الذي تم إنقاذه من طرف الثورة » .

فضيل : « لكنك لم تكن في معسكر السبخة ؟ » .

سعدان : « نعم كانت لدي تراخيص ، ماذا كنت تقصد ؟ ثم الجدران ، لقد وجدت لكي يتم تسلقها ، كنت أتسلق الجدار مثل الآخرين » .

رجل وطفل يتجهان نحو أحد رفوف بيع الحلويات يديره إثنان من الشباب لشراء الزلابية .

بدأ أحد الشباب في تقديم الخدمة ، عندما تلقى فجأة نكزة من كوع رفيقه الذي دفعه برفق .

البائع 1 : « مهلا قل لي إذن ، هل رأيت هذه الدورية ؟ » .

البائع 2 : بينما كان يعمل ، « نعم ، ثم ماذا ؟ لن تكون الأولى ولا بالتالي الأخيرة » .

ومع ذلك توقف عن تقديم الخدمة والقى نظرة .

البائع 1 : « أنا متأكد من أنهم تابعون لنا » .

البائع 2 : « ماذا ؟ نعم ولكن . . أنت على حق » .

جندي فرنسي في سيارة جيب

المشتري يهمل بضاعته عندئذ ويدفع الطفل الذي أمامه .

المشتري : إنهم جنودنا ! ذلك يعني أنهم سوف يظهرون ما يمكن لجيش التحرير أن يفعله . أعانهم الله ! هيا بنا ندخل قبل أن يتطور الأمر .

رفعوا البضائع المعروضة بأقصى سرعة ممكنة .

المشتري 2 في حالة اشمئزاز : يتأوه قائلا ، لقد سئمت من رؤية الزبائن الذين يهربون ، ليس بهذه الطريقة سأكسب قوت يومي ، وأضاف سأضحي بالكثير لكي أكون منهم وهو يشيع الدورية بنظرة إعجاب .

البائع 1 يحلم دائما ، سوف لن يقبلوك ، ويبدو أنه لكي تلتحق بالإخوة عليك أن تأتي بقطعة سلاح وأن تكون معروفا .

البائع 2 ، سلاح يمكن العثور عليه لدى عسكري .

البائع 1 يرد ساخرا : لن يتخلى عنه بسهولة .

البائع 2 يحلم : تعتقد أنه يتعين عليك أن تشقى ، أما أن تكون معروفا . .

وفي هذه اللحظة يغمز حسين بإشارة من عينه باتجاه البائع الذي يرد وهو يبتسم منهيا جملته .

حسين يمكن القيام بذلك ايضا . أنا لدي علاقات !

الدورية تواصل السير ، وفي زاوية الشارع تظهر دورية حقيقية للجيش الفرنسي . يقف رابح ويضع يده على الرشاش ويلقي نظرة على رشيد وهو يصيح بصوت خافت .

يومئ رشيد له وللآخرين بعدم التفاعل .

تركز الكاميرا على نظرة رشيد الذي يحاول أن ينقل إلى مجموعته تحكمه وعزمه .

رشيد بصوت ضعيف : لا تفقدوا هدوءكم ، ولا تردوا إلا عندما أقول لكم .

رابح : هذا سوء الحظ .

تواصل الدورية الأخرى تقدمها على الرصيف المقابل وهي الآن على بعد عشرين مترا

(صورة غير واقعية) توقف جانبي للكاميرا . تركيز على الكوماندوس حيث الأصابع تداعب زناد الرشاش . رشيد يتابع بنظره الدورية ، فضيل راقب صابري الذي يبدو الأكثر قلقا ، معاتبا وقطرات العرق ترصع جبهته . قائد هذه الدورية الأخيرة يؤدي التحية وكأنه يقوم بإشارة روتينية . رشيد يرد على التحية بنظرة ظريفة . بعد تجاوز الحاجز ، أطلق فضيل زفرة تعبيرا عن الارتياح ونزع خوذته . .

فضيل : « حسنا . . ما التالي...»

إستمرار المشهد :تبرز المجموعة من زاوية الشارع ، أحد الصاغة يراقب الشارع من مدخل متجره ويتعرف على الكوماندوس . يدخل على وجه السرعة إلى محله وينـزل الستار الحديدي ليختبئ داخله . ينظر رشيد ثانية في ساعته .

تعود الكاميرا إلى الوراء . يستدير نحو رجاله .

رشيد : « حسنا ، انتبهوا الآن ، وصلنا الآن إلى ساحة الانتصارات . استعدوا وتذكروا جيدا دوركم . »

يطل فجأة عسكري آخر معزول من شارع ، يبدو أنه عسكري مأمور يتوجه إلى نادي الضباط . كان يحمل زجاجة كوكا كولا وعلبا من المصبرات . .

رابح : « مرة أخرى . . هناك عسكري كل خطوتين . »

رشيد : « ألا تصدق أنك بالفعل في الأراضي المحررة بعد ،أليس كذلك ؟ لا تتحرك . »

فضيل يبتسم : » لقد تعودنا لحد الآن . »

العسكري يحيي الدورية . رشيد ينظر إلى العسكري بحزم ولكن بهدوء . يرد التحية بطريقة سلطوية . فضيل يرد التحية على الخوذة أيضا وهو ما يعتبر مخالفا للقاعدة . ففي دورية ، القائد وحده من يرد على تحية عسكرية . محفوظ يدفعه بمسورة بندقيته الرشاشة .

محفوظ : « هل أنت مجنون أم ماذا ؟ ماذا جرى لك ؟ »

فضيل : « لا أدري... لقد نسيت جميع هذه القواعد المعقدة . لم أنخرط في الجيش الشعبي... »

رشيد يعود إلى الوراء إلى غاية مكان تواجد فضيل .

رشيد : « أنت مغفل جيد ! » .

فضيل : « أوه حسنا ، إنها ليست غلطة فادحة ، إنه لم يلاحظ هذه الجزئية »

يستدير رشيد والعسكري الفرنسي في الوقت نفسه ، يبتسم رشيد بتكلف ويعود إلى مكانه الأول برشاقة **تتجه الكاميرا** نحو صابري :

صابري : « هل تعتقد أنه تعرّف علينا ؟ »

حسين : « لا ، دعنا من هذا !... » .

بدا العسكري الفرنسي في حيرة ، التف على زاوية الشارع ، ثم توقف وبدا وكأنه وجدها ، رفع يده نحو جبهته في إشارة توحي باكتشافها . عاد على أعقابه .

الدورية تصل إلى الساحة . يقترب أحد باعة الكاكاو من رشيد ويتمتم ببعض الكلمات بشكل عابر .

بائع الكاكاو : « لدي البضاعة » .

في الوقت الذي ظهر العسكري في نهاية الساحة . استدار رابح قليلا من جديد وشاهد المأمور . أخبر رشيد بذلك .

رابح : « الشخص يعود ثانية ! »

رشيد : « أيا كان يجب علينا أن نحاول كسب الوقت والتكيف . انتشروا ، واتركوني أتدبر الأمر . »

رابح : « سأبقى معك... » .

مرافقة الكاميرا لـ رشيد .

رشيد : « حسين ، اذهب نحو مدخل النادي وخد موقعك . صابري ، اذهب نحو بائع الكاكاو الذي تموقع هناك و خذ القنابل اليدوية . ارمها داخل النادي قبل أن نشن الهجوم .

سار سعدان خلف حسين . لطفي ، اذهب مباشرة إلى باب النادي ونحن سنتبعك . فضيل ومحفوظ ، قوموا بتحييد الحراس . »

رشيد يترك رابح متموقعا في زاوية الساحة و ذهب ليغلق مدخل الشارع المؤدي لمدخل الساحة وبالتالي يمنع انسحاب العسكري الموجود أمامه في عزلة .

تردد العسكري ثم توقف وهو يحاول الفرار ، **نحن لحد الآن في الساحة .**

رشيد يتابع حركته كالأيل الأشقر ، يفتح غمد مسدسه حيث يضع يده عليه .

تركيز الكاميرا على اليد . يتجمد العسكري قبالة الجدار وهو في حالة رعب .

رشيد يبتسم من عينيه ويبهر العسكري الذي كان ينظر يمينا وشمالا . حاول الاختباء وراء زاوية العمارة وهو يفكر أن رشيد الذي نراه في الزاوية الميتة للشارع والساحة لا يراه . حاول العسكري الهروب بجلده ، أطلق رشيد رصاصتين... ثم ثالثة ، يسقط العسكري ، استدار **رشيد الذي كان يعطيه ثلاثة أرباع الظهر** والتحق بـ رابح في زاوية المنـزل الذي يحتضن النادي . **على بعد تركيز الكاميرا المنظر البانورامي الذي يرافقه** . يركض رشيد ويجثم ضد الجدار . نشاهد الرجال منتشرين في الساحة وكل في موقعه تبعا لأوامره .

اللقطـــة الثامنة

من الداخل/الأثر الليلي في النادي ص 12 إلى 17 .

الموسيقى تكتم جزئيا صوت الانفجارات ، لكن أحد الضباط يطلب من الأوركسترا وقف العزف .

الضابط : « لقد سمعت إطلاق نار . »

توقف المدعوون في حالة اندهاش ، أكد البعض ذلك وهم يتساءلون حول طبيعة إطلاق الرصاص . . جمل متقطعة تشير إلى : تراشق . . بالقرب وبداية ذعر ينتشر بين النساء والمدنيين من الحاضرين .

الكونونيل دارغيلا ، الكونونيل كزافييه ، الضابط المخمور وسيدة ، يحاولون فهم ما يحدث .

وفجأة يسمع هدير صفارة إنذار . يستدير الكونونيل دارغيلا نحو الساعة المعلقة التي تشير إلى الخامسة والربع .

الكونونيل كزافييه : « صفارة إنذار ! »

الكونونيل دارغيلا : « لا ، إنه مدفع الإفطار الذي يتم الإعلان عنه هنا بصفارة الإنذار » .

ينطق الضابط المخمور بعبارة مشوبة بالخوف .

الضابط : « إذا سمحتم لي ، هذا ليس من الحذق » .

الرجلان الآخران وبقية النساء يتبادلون النظرات فيما بينهم والحيرة بادية عليهم .

زخة أخرى وتراشق ناري طويل في الخارج بينما تواصل صفارة الإنذار هديرها دائما .

يتوجه أحد ضباط الصف نحو المخرج .

ضابط الصف : « كل هذا لا يبدو لي طبيعيا ، سأرى ما يجري في الخارج...»

يفتح باب النادي من الداخل

اللقطـــة التاسعة

نهاية اليوم/الهجوم/ص 1 إلى 14

تركيب في الحركة : من الساحة ، نرى ضابط الصف يظهر عند مدخل النادي . يوجد حسين على يسار الباب يحمل بندقيته من نوع طومسون ، رشيد على اليمين و سعدان قبالته يحمل البندقية نفسها وإلى جانبه يتموقع لطفي ، في حين بقي رابح ومحفوظ في زاويتي المبنى الذي يحتضن النادي . ويشكل هذا الرباعي مجموعة تهيمن على الساحة . سأل ضابط الصف وهو يرى رجال الدورية منتشرين على الساحة اعتقادا منه أنهم من الجنود الفرنسيين ، سعدان الذي كان يدير له ظهره على اعتبار أنه جندي فرنسي .

ضابط الصف : « قل لي إذن ماذا يحدث هناك ؟ »

تجوال أمامي للكاميرا نحو ضابط الصف . فقدان سعدان . تجوال يمينا وشمالا من أجل استعادته .

ضابط فرنسي

ضابط فرنسي يخرج من مطعم الضباط ويتم القبض عليه من طرف عضويين في الدورية العسكرية المزيفة

وردا على هذا السؤال ، يستدير سعدان ويطلق النار على ضابط الصف الذي فوجئ برد فعله وينهار مدهوشا .

وعلى الساحة ، كانت زخات الرشاشات تتفرقع والرجال يختبئون وراء الأشجار . صابري يركض نحو بائع الكاكاو... وبالرغم من الرصاص الذي يتساقط وفي خضم إثارة العملية لا يشعر بالخوف إطلاقا...

أما التاجر ، شديد العزم ، فقد استمر في مناداة الزبائن وذلك بالصياح ، الكاكاو ، الكاكاو... وكان صابري لا يزال يركض عندما تلقى رصاصة وهو في قمة اندفاعه ويسقط مستلقيا على النافذة التي توجد في زاوية شرفة فندق المغرب .

ومن أعلى الفندق ، يطلق عسكري النار من بندقية رشاشة ويختفي وراء أكياس الرمل . إنه العسكري الذي أطلق النار للتو على صابري .

اضطر سعدان إلى ترك موقعه قبالة مدخل النادي المعرض للغاية لإطلاق النار . التحق به لطفي وكان كلاهما يحتميان وراء الأشجار . نادى لطفي على سعدان وهو يشير عليه على الحراسة .

لطفي : « اقفز ! فوق السطح ! غطني ، اذهب للبحث عن القنابل... »

سعدان : « حسنا » .

يطلق زخة من الرصاص باتجاه الفندق بينما كان لطفي يركض . وصل هذا الأخير بالقرب من صابري وانبطح إلى جانبه وعندها علم أنه أصيب بعيار ناري في الكتف الأيسر وينـزف .

لطفي : « صبري ، هل أنت بخير »

صبري يحاول النهوض : « نعم بخير ولكن أشعر بالألم »

لطفي : « لا تنهض ، تستر وراء هذا الركن ، انتظر حتى نسوي حساب القناص الحقير لهذا الفندق ثم توجه نحو السلالم وعندها يمكنك المشي ؟ »

صبري : « نعم ، أعتقد ذلك . يمكنني حتى اطلاق النار ، اذهب للانضمام إلى الآخرين »

لطفي : « سنبقى معا إلى غاية تحييد القناص الذي يوجد هناك في الأعلى »

فرقعات رصاص حول الرجلين المنحنيين اللذين سيحتميان وراء أقرب شجرة والتموقع في وضعية إطلاق النار لتأمين ظهر بقية أعضاء مجموعة الكوماندوس الكائنة بالقرب من مدخل النادي .

سعدان يصرخ في لطفي

أن نتعرض للإبادة »

لطفي يوافق : « سأذهب »

إنه دور حسين من موقعه ودور صابري لتغطية لطفي الذي يركض نحو الفندق في محاولة لإبعاد القناص .

تجوال دائري للكاميرا حول حسين الذي يخاطب التاجر .

حسين : « اسمع أنت ، احم روحك ، ستعرض نفسك لاختراق الرصاص... »

التاجر يشير إلى نفسه بالأصبع ثم يأخذ سلة ويعرضها على حسين .

التاجر وهو يعرض السلة مملوءة بالقنابل : « أنا ؟ وهذا ؟ »

حسين يلح : « سنرى لاحقا... اختبئ ! »

يحرك التاجر كتفيه ، ينطلق وهو يدفع عربته لكي يضعها وراء شجرة البلاتان الكبيرة التي تقع في زاوية محمية غير بعيد عن مدخل النادي حيث يلتحق بـرشيد .

يخرج التاجر من مجال الكاميرا . وبمجرد الانسحاب ، يتعرض المكان الذي كان يقف فيه قبل ثوان إلى سيل من الرصاص تم إطلاقه من سطح الفندق .

اللقطـــة الثامنة

الداخل/النادي ص 18

حركة من الذعر تسود داخل النادي ، لجوء النساء إلى خلفية القاعة ، هناك ضباط يمسكون بمسدساتهم في اليد .

أحد الضباط : « لا يمكننا الخروج... لقد وقعنا في فخ... » .

اللقطـــة التاسعة

في الخارج ص 15

وعلى الساحة ، لا يستطيع الرجال فعل الكثير . كانوا يبحثون عن ملجأ وراء أشجار البلاتان حيث يوجد نصب تذكاري للموتى ينتصب وسط الساحة .

يقترب رشيد من العربة ويصرخ في التاجر .

رشيد : « أعطني قنبلة » .

يفتح التاجر كيسا يوجد تحت مخاريط الكاكاو ويسلم له قنبلة يدوية .

يعود رشيد إلى شرفة الفندق من أجل تغطيته .

ينـزع رشيد شكة القنبلة ويلقي بها في النادي . نسمع دوي انفجار قوي .

التاجر : « هل تريد واحدة أخرى أخي » .

رشيد : « قم بعدّهم وتجهيزهم واعطني إياهم تباعا ، كم عددهم ؟ »

التاجر : « ثمانية »

رشيد : « ناولني ، سأزعزعهم قليلا ، جميع من يوجدون في الداخل هناك . الآن تابعني ولا تنـزع عينيك عني »

اللقطـــة الثامنة

ص 19 إلى 20/من الداخل/النادي

الضباط ، الموسيقيون والمدعوون في حالة انبطاح على بطونهم داخل النادي وهناك بعد قتلى وجرحى . هناك نواح وأنين يسمع .

الناجون في حالة انقباض من الخوف ، تراجعوا إلى الجهة الخلفية في القاعة للإفلات من القنابل اليدوية في محاولة للتخلص من هذا الفخ .

الكونونيل دارغيلا والكونونيل كزافييه يتحدثان .

الكونونيل دارغيلا : « يجب علينا الخروج من هنا ، نحن في وكر للدبابير . »

يستدير ويصيح : « على جميع الضباط الذين يملكون سلاحا أن يحاولوا إيجاد مخرج . أقول جميع الضباط المسلحين »

اللقطـــة التاسعة

من الخارج/ص من 16 إلى 27

ظهور ضابطين عند بوابة النادي . يتعرضان على الفور لإطلاق النار من طرف رابح ورشيد ، يتداعى الضابطان ، في تلك الأثناء يصل لطفي إلى خلف فندق المغرب .

يتجه موظف جزائري نحوه . يتسلق الموظف بعض السلالم مع لطفي ، ثم يتوقف ويقوم بإشارة نحو الأعلى ، ثم ينزل ثانية ويلتحق بمركز عمله وكأن شيئا لم يحدث حتى لا يثير شكوك مستخدميه الأوروبيين .

الموظف : « من هنا أخي ، من باب الخدمة ، من هنا يمكننا الصعود إلى السطح ، اتبعني »

نشاهد لطفي من الخلف وهو يواصل صعود السلالم ، يصل إلى مدخل السطح ويفتح الباب بكثير من الحذر حتى لا يلفت انتباه القناص . يتقدم بخطى الذئب إلى غاية الوصول على بعد عدة أمتار وراء العسكري المحاط بأكياس الرمل وهو يطلق النار من البندقية الرشاشة على جزء من الساحة في متناوله .

يرتمي عليه كحيوان مفترس ويجهز عليه بسكينه لكي لا يجلب الانتباه ، يقوم بطعنه وفي ذات اللحظة يلقي به على الدربوز لكي يظهر لرفاقه أن الخطر من هذه الجهة مستبعد وأنه بإمكانهم أن يتقدموا نحو النادي .

ينهض لطفي لكي يصرخ تعبيرا عن فرحته وهو يومئ على رفاقه بإشارات ملوحا بالبندقية الرشاشة التي استردها للتو من القناص . وكانت صفارة الإنذار لا تزال تخور .

وفجأة استدار لطفي إلى الوراء وعيناه مشدودتان حيث يقف رجل خلفه بملابس مدنية وهو بلا شك أحد حراس الفندق أطل من السلالم . كان يحمل في يده مسدسا . ارتمى لطفي في الفراغ بسلاحه .

من الخارج/ نهارا/ الموقع

وعندما شاهد اطلاق النار يتوقف من سطح الفندق ، يكون رشيد الذي شاهد الجثتين تتهاوى الواحدة بعد الأخرى ، قد أدرك ماذا جرى

يتجه نحو باب النادي وهو يشير على رابح وسعدان أن يقوما بتغطيته .ألقى داخل نادي الضباط بقنبلتين استلمهما من بائع الكاكاو الذي بقي بالقرب منه وعاد للاحتماء وراء شجرة البلاتان .وبعد حين تردد صدى انفجارين متبوعا بصراخ ونواح الأشخاص الذين يحاولون الخروج .يدخل بمعية رابح إلى داخل نادي الضباط ويفرغان خزانات رشاشاتهما في المدعوين الحاضرين قبل معاودة الخروج من أجل الالتحاق ببقية أعضاء الكوماندوس .

وعندئذ يشير رشيد على رجاله ويصرخ باتجاههم وهو يحرك اليد اليمنى .

رشيد : « انسحبوا »

وكان محفوظ الذي كان يكمن في زاوية الساحة الأكثر قربا من الفندق ،قد رأى جثة لطفي وهي تتهاوى في الفراغ . لقد خمن أن الحارس سينـزل لا محالة عبر سلالم الخدمة . لقد فهم محفوظ من دوي الطلقتين الوحيدتين اللتين اطلقتا على لطفي ، أن الحارس لم يستخدم سوى سلاح من عيار صغير وغير كاف لإطلاق النار على الرجال المتواجدين في الأسفل وفي نفس المكان . وكان تفكيره بالأحرى يتجه نحو الذهاب لطلب الدعم .لقد قرر أن ينتقم لرفيقه في المعركة وهكذا سيتموقع قبالة مخرج باب النجدة .

لقد كان محقا ، إذ وبمجرد ظهور الحارس في الزقاق ، حصده محفوظ بوابل من الرصاص من بندقيته الرشاشة .أشار رشيد بذراعه على رجاله بالانسحاب .ونرى هنا أربعة رجال يتجهون نحو السلالم الكائنة على يمين الساحة الواقعة قبالة النادي والمؤدية نحو حي المسلمين .يطلق رشيد النار من سلاح رشاش استعاده من أحد العساكر وذلك لحماية انسحاب رجاله . يتبعه رابح وفضيل ومحفوظ عن قرب .كانت جميع صفارات الإنذار في المدينة وتلك القريبة من الساحة تصدر هديرها .سعدان وحسين يركضان مع صابري

المصاب بجروح خفيفة من أجل الالتحاق ببقية أعضاء الكوماندوس .كان طريقهم الذي يتفرع عن زقاق يؤدي نحو السلالم التي سلكها رجال الكوماندوس الآخرين مسدودا بحاجز لدورية فرنسية والجنود الفرنسيين يركضون للحيلولة دون تجاوز المجاهدين لذلك الحد الفاصل ودخولهم في المنطقة المناوئة للجيش الاستعماري . انطلق العساكر في مطاردة أعضاء الكوماندوس الأربعة الأوائل ، ولم ينتبهوا للفدائيين الثلاثة الذين يتواجدون خلفهم ، توقف هؤلاء واطلقوا النار مما أسفر عن سقوط ثلاثة عساكر ، بينما واصل البقية ركضهم نحو السلالم ليكونوا بمنأى عن الرصاص وهم يشهرون أسلحتهم اليدوية .

حاول سعدان وصابري الوصول إلى السلالم ، ينفصل حسين قليلا عنهم ومن خلف النصب التذكاري ، يطلق مرة أخرى من اثنين إلى ثلاث زخات من سلاحه لتغطية انسحابهم ثم يعود على اعقابه في الاتجاه المعاكس الذي يؤدي إلى أسفل وسط المدينة ، وكان يأمل بذلك جذب المطاردين له نحوه وبالتالي بعثرتهم .

وكان رئيس الدورية الفرنسية يصدر الأوامر وهو يواصل الركض .

رئيس الدورية الفرنسية : « انتما الاثنان ، ابقوا مع الجرحى واطلبوا الإمدادات من المقر العام بواسطة الراديو وأنتما تعالوا معي لمواصلة مطاردة الفدائيان اللذان أطلقا النار علينا .انتبهوا ، إنهم يرتدون بدلات عسكرية للجيش الفرنسي ، احذروا لا تخطئوا هدفكم .

تتابع الكاميرا العساكر الفرنسيين وتكشف على يسار السلالم في الشارع السفلي عن الفدائيين الأربعة وهم يركضون .

واصل بقية افراد الدورية الفرنسية مطاردة مجموعة الفدائيين الأربعة التي تتكون من رشيد ورابح ، فضيل ومحفوظ . كانت الشوارع في تلك الأثناء خالية نظرا لكوننا في ساعة ما بعد الإفطار ، ولم يبق للرجال سوى بضعة مئات من الأمتار للوصول إلى الدروب (الشوارع الضيقة) للمدينة القديمة حيث يمكنهم العثور بسهولة على مخبأ .

اللقطـــة 9 مكررة .

آخر النهار/ ص 1 إلى 11

بقي بائع الكاكاو في ساحة الانتصارات قابعا في إحدى الزوايا ، شاهد وصول شاحنة لنقل العساكر ، يفر بعربته التي يدفعها أمامه ، ينزل عساكر من الشاحنة ويطاردونه .

تجوال جانبي لمرافقة البائع الذي يستدير .

يجري عسكريان في إثره ويتلقى البقية الأمر بمواصلة مطاردة بقية أعضاء الكوماندوس .

الكاميرا قبالة البائع وتجوال خلفي .

يشعر الرجل بقرب الإمساك به من طرف العسكريين اللذين يطاردانه ، يتخلى عن عربته التي تقلل من سرعته .يبتعد مسار العربة عن **مدى الكاميرا .**

تجوال جانبي . العربة تسير بمفردها... وفي احدى المنعرجات ، تصطدم عجلة بالرصيف وتنقلب العربة .

تركيز على العجلة العليا ، بينما تخرج القنبلتان الأخيرتين من السلة المملوءة بأكياس الكاكاو... تتدحرج القنبلتان بالقرب من الرصيف وتقعان في المجرى ثم تختفي في قنوات الصرف الصحي .

تركيز الكاميرا على مسار القنبلتين .

يصل العسكريان ولا يشاهدان سوى أكياس الكاكاو مبعثرة على الرصيف .

يتوقفان وينظران ثم يبعثرانها بمقدمة ماسورة سلاحهما من نوع ماط عندما لا يجدان شيئا ثم يعودان في ظرف عدة ثوان على أعقابهما .

العسكري الأول : « دعنا من هذا ، إنه ليس أكثر من رجل عديم الأهم ، فلنذهب لتقديم يد المساعدة لعساكرنا ، مجنون ونحن الأرداف . »

اللقطـــة 10

نهاية اليوم ص 1 إلى 12

أما حسين الذي يغطي انسحاب صابري وسعدان ، فقد ذهب نحو نقطة تعتبر الأكثر بعدا عن الساحة ، عند مدخل شارع صغير يؤدي إلى الحي « الأوروبي » وهو يلهي

وراءه بعض العساكر الفرنسيين في مطاردته .لقد سمح هذا الإلهاء لرفاقه بالوصول إلى غاية السلالم المؤدية إلى أسفل المدينة بالرغم من جروح صابري .لقد ابتعد حسين لحد الآن وهو يركض ويحاول إيجاد وسيلة للالتحاق بهم .

يصل مع تركيز الكاميرا على الصورة

يتردد ، ثم يدرك أنه لم يتمكن من الالتحاق بالجزء الآخر من الساحة ، ثم يختار شارعا صغيرا على يمينه ، وعندئذ يشاهد عساكر من الجيش الفرنسي ينزلون من عربة جيب في الطرف الآخر لهذا الشارع .وتكهنا منه على أن العساكر سيفكرون أنه تابع لهم و (هو لا يزال يحمل الزي العسكري الفرنسي بعد) يتريث حسين ويلتزم بالسير بهدوء وقلبه ينبض بفقدان الصواب .فقد كان يخشى القبض عليه لكي يقدم لهم خدمة كبيرة . يشاهد شارعا صغيرا ينفتح على يمينه قبل موقع تمركز العساكر ويدلف فيه .وبمجرد أن أصبح بعيدا عن أعين العساكر الفرنسيين ، يسرع الخطى بحذر لكي لا يصدر ضوضاء بحذائه العسكري .إنه يعرف الحي وبدأ يعتقد أنه سيفلت منهم .

تجوال الكاميرا من الخلف

ينتهي إلى نهاية زاوية شارع صغير ، يتوقف مرة ثانية وينظر حوله .يبحث عن مدخل جانبي صغير للجامع الكبير ، يعثر عليه في الأخير ويلج منه .وبمجرد ما أغلق الباب حتى وصل بعض العساكر الفرنسيين إلى ساحة الجامع .كان أحدهم بصدد إعطاء أوامر لبقية العسكريين وكانت المدينة فارغة .

العسكري : « أنت اذهب لترى ما يحدث من هنا وأنت ألق نظرة داخل الجامع... » .

المجند : « لكن أيها القائد ، إنه جامع... » .

العسكري : « نعم أعرف ذلك ، قم بالمراقبة داخل الجامع... » .

يتردد المجند المعين ثم يذهب على مضض ، يصل أمام الباب الصغير ويدخل إلى القاعة .

ينظر المجند بدون اكتراث ولا يتجرأ على التقدم إلى الأمام .

مسجد بتلمسان

وفي القاعة الكبرى ، هناك عدة مئات من الأشخاص يؤدون الصلاة وظهورهم منحنية ، بدت على وجه المجند علامة شك .

المجند : « كمن يريد البحث عن إبرة في رزمة من التبن » .

وفي وسط القاعة ووراء احدى الأعمدة يتم التعرف على حسين الذي ينهض .كان يلبس جلابة تغطي كليا لباسه العسكري وهو يضع عرّاقية على رأسه .

تجوال نصف دائري للكاميرا من أجل اكتشاف خوذة بين حسين وعامود ثم العسكري في الخلف الذي يتفحص القاعة والمصلين من بعيد . ولم يكن هذا الأخير يرى شيئا مشبوها أمام عينيه وعلى قناعة من عدم جدوى بحثه وبالتالي يخرج من القاعة .
يقترب شخص آخر يرتدي جلابية هو الآخر من حسين ويجلس بالقرب منه .

الرجل بالجلابية : « الحمد لله على السلامة يا أخي ، كان حري بك نزع حذائك ، إنه بإمكانهم أن يتعرفوا عليك من خلاله » .

وأضاف : « ستقضي الليل هنا » .

حسين : « نعم ، ولكن علي العثور على رفاقي هذا المساء ! »

الرجل بالجلابية : « هذا ليس من الحذر ، سيتم حصار الحي وقد تتعرض للتوقيف . أنت الآن في آمان وغدا سيتولى أحد المسبلين مرافقتك إلى غاية قاعدة الكتيبة . وفي انتظار ذلك ندعو الله أن يصون إخوتنا المجاهدين » .

اللقطـــة 11

ليلا/ص 1 إلى 16

في ساحة مجاورة للقصبة ، تتوقف شاحنتان وعربة جيب مملوءتين بالعساكر .وفي داخل القصبة تفرقت مجموعتي المجاهدين في متاهات الشوارع وذلك بهدف تشتيت المطاردين لهم .

وتتكون المجموعة الأولى من كل من رشيد ورابح ، فضيل ومحفوظ . ومن المجموعة الثانية لم يبق سوى سعدان وحسين الذين وجدوا الملجأ في الجامع .

لقد سمحت الكاميرا المحمولة على رافعة بمتابعة تقدم المجاهدين سواء بمفردهم أو في مجموعة ، فهم غير بعيدين بعضهم عن بعض غير أنهم لا يتقاطعون . ترتفع الكاميرا وتقوم بمسح سطوح البيوت القديمة لقصبة الزيانيين .

نشاهد رجل يقفز من سطح لآخر ، **تركز الكاميرا عليه** لنكتشف أن الأمر يتعلق بـ رابح .

مشهد عام .نشاهد الرجل يبتعد ثم يقفز في شارع نحو الأسوار الشمالية للمدينة باتجاه السهل وبذلك يكون بعيدا عن مرمى العساكر . وفي احدى شوارع المدينة القديمة يتمهل محفوظ ويستدير إلى الخلف وهو منهك القوى .**تتابعه الكاميرا من خلال الأسلاك الشائكة التي تسد شوارع جميع الأحياء الشعبية القديمة** .يتردد ونقرأ على وجهه شعور وقوعه في فخ ونسمع خطوات المطاردين له الذين يأتون من شارع عرضي .يصل ثلاثة عساكر ، تقترب الخطوات أكثر فأكثر **وتنتقل الكاميرا من واحد للأخر** .
ومن جهته ، كان رشيد يركض هو الآخر وكان يحمل بعد الرشاش الذي استولى عليه من أحد العساكر الفرنسيين .

مشهد عام . يصل أمام شارع مسدود بالأسلاك الشائكة ، يأخذ شارعا آخر عندما يتمكن ويخرج من **مجال الكاميرا** .
ولغاية اللحظة ، تتبع الكاميرا في مجالها قطع قماش باللون الأخضر والأبيض والأحمر ، تعلو الشارع ونرى رجلان واحد يدعم الآخر الذي يدق على الباب تبعا لكلمة السر المتفق عليها .يدخلان إلى البيت حيث يمكنهما التخفي وعلاج صابري قبل أن يلتحقا بالمجموعة في حديقة عمر في سيدي الحلوي .

وفي تلك الأثناء يصل محفوظ أمام مخرج مسدود . **تدور الكاميرا** على الأسلاك الشائكة ونرى وصول محفوظ ، يتوقف وينظر إلى أعلى الأسلاك الشائكة ويستدير ونحن بصدد **تركيز للكاميرا عليه** عن قرب وهو يجفف جبهته .

تجوال من الخلف .يصل العساكر إلى زاوية الشارع ، يستعد محفوظ للموت والسلاح في اليد . يملأ خزان مسدسه الرشاش ، ومن الجانب الآخر للأسلاك الشائكة يطلق محفوظ

جنود فرنسيين والأسلاك الشائكة

النار ، يسقط عسكريان ويركض الثالث ليختبئ في الشارع الذي يوجد خلفه . وعليه يقرر محفوظ الذهاب في الاتجاه المعاكس الأكثر خطورة كونه يؤدي نحو أسفل المدينة الأوروبية .ويبدو أنه كان يبحث عن مكان معين وفي منعرج أحد الشوارع يجد نفسه في الأخير أمام محل الخياط الذي كانت ستارته الحديدية نصف منكسة . يشير الخياط على محفوظ الذي ينحي من أجل الانزلاق داخل الحانوت الصغير .

ينزل الستار الحديدي قبل قليل من وصول العسكريين الفرنسيين إلى بداية الشارع وقبل تجاوز محل الخياط وهم يركضون .

تعود الكاميرا نحو رشيد . وفي تلك الأثناء ، يصطدم رشيد ثانية بالأسلاك الشائكة . يتسلق سطح منزل ويقفز إلى سطح آخر وينزل من الجانب الآخر في شارع آخر حيث يستأنف ركضه حيث كانت الشوارع خالية .

يواصل رشيد ركضه ثم يتوقف عند إحدى الأبواب ، ينظر إليها وكأنه يتعرف على الدار ، ثم ينطلق من جديد... ونسمع أيضا صدى خطوات تقترب .

يصل رشيد إلى إحدى الممرات بدون مخرج وعندها يسمع صدى تبادل الطلقات القادم من الدرب الآخر .

تجمد في مكانه وكتم أنفاسه وهو يستمع لضوضاء إيقاع ركض العسكريين . في حالة إنهاك وعدم القدرة على الركض . يعود على أعقابه وهو يملأ خزان سلاحه ، يثبت سلاحه على ظهره ويستعد للتقدم نحو العساكر وهم مصمم على بيع جلده غاليا . لاحظه رجل من أعلى سطح المنزل الصغير الذي كان قد توقف أمامه من قبل ، ولدى وصوله إلى أسفل هذا الأخير ، رأى رشيد الباب ينفتح أمامه ويد تجذبه إلى الداخل .

يستدير رشيد ويعلن عن نوع من الدهشة ، يتحرك قليلا نحو الباب ثم يقفز داخل المنزل .

تجوال يرافق حركته ويسمح لنا باكتشاف فتاة ، تشير هذه الأخيرة بالدخول وعدم إحداث ضوضاء . فارعة القوام وجميلة وترتدي اللباس التلمساني التقليدي . يسمح **تركيز الكاميرا** بالتعرف على عاملة الشباك في مقصورة الهاتف في بداية الفيلم . تنادي على رشيد وتحثه على الدخول .

زينب « : تعالى... »

يتقدم رشيد خطوة إلى الأمام ويلقي نظرة داخل المنزل ، كانت هناك امرأة مسنة تقف خلف زينب .

يغلق الباب وراءه ، نرى بعد قليل مجموعة صغيرة من العساكر الفرنسيين يواصلون ركضهم في الاتجاه الذي سلكه رشيد سابقا .

اللقطـــة 11 مكررة

من الداخل/ص من 1 إلى 6

مشهد ذاتي تحت أنظار زينب

يشاهد رشيد أمامه ساحة مربعة من طراز قديم وبها بئر في الوسط ، الغرف متراصة على الجانبين وشرفة تعلو المنزل .

ينزل والد زينب من السطح ويأتي لاستقباله .

تستبق زينب رشيد لترشده .

SEQUENCE 11.
P. 13
RACHID.

الأم : « مرحبا بيك يا وليدي ، سنخبئك ، هنا لن تخشى شيئا » .

يصل الأب بدوره ويحيي رشيد .

الأب : « تعالى ، لا تخشى شيئا ، هنا أنت في بيتك » .

لقطة من الخارج

مجموعة أخرى من العساكر يمرون بالقرب من المنزل وهم يركضون .

لقطة من الداخل : رشيد متردد بعض الشيء ، تأخذه الفتاة متبوعة بوالدتها نحو إحدى غرف المنزل ، يدخلون .

مشهد . .نحو غرفة عبارة عن صالون محاط بأرائك واطية تتوسطه مائدة ،وتبدو الزرابي ملفوفة في إحدى الزوايا .

تطلب زينب من رشيد الجلوس .

تجوال أمامي

لم يكن مطمئنا تمام الاطمئنان ، نظر إليها بقليل من الريبة .

كان لا يزال يمسك بمسدسه في يده .

الأم تنزع منه المسدس بعذوبة تقطر أمومة وكأنها تتعاطى مع طفل .

زينب : « اجلس يا هذا ، يجب إخفاء هذه الأسلحة ، سيفتش العساكر الحي لا محالة » .

رشيد : « لا يمكنني ذلك ، يجب أن أذهب » .

زينب : « خد راحتك ! استرح قليلا ،لقد ذهب والدي لكي يجلب لك ملابس مدنية تحسبا لتعرض المنزل للتفتيش » .

رشيد في حالة ارتباك ويحاول النهوض .

رشيد : « رفاقي ، في حاجة إلي » .

مجال مرادف . تستطيع الإبقاء عليه **...**

زينب : « ألا تفكر أنه بخروجك من هنا ،سيمسكون بك وستكون في عداد الموتى » .

يظهر والد زينب عند مدخل الصالون وهو يحمل ملابس مدنية في يديه .

الأب : « ها هي ،ستحمسك وقبل ذلك عليك أن تستعيد قواك وأن تأكل قليلا » .

ينهض رشيد الذي يبدو نوعا ما أكثر هدوءا ، تأخذه والدة زينب إلى غرفة حيث يمكنه أن يستريح تحت أنظار زينب .

اللقطـــة 12

خارجية/ليلية/ص 1 إلى 16

كان فضيل الذي غادر المدينة القديمة ، يتواجد في حي قريب من مكان الموعد ، لكن أكثر عرضة للخطر .

مشاهدة عساكر فرنسيين في عربة جيب تسير بسرعة في الليل الذي كان قد حل في تلك الأثناء .

تلمع أضواء الجيب في الظلام .

تجوال المرافقة .

يجد صعوبة في الركض ، قد يكون مجروحا أو ببساطة منهكا ؟

يصل إلى مفترق طرق ، يستدير يمينا ، ومن بعيد نرى أضواء عربة جيب ونسمع أصوات عساكر ، يصل فضيل أمام إحدى العمارات ، يتوقف وينظر إليه . ويقرأ على باب المدخل عبارة المحطة الجهوية لتلمسان ، يراهن دفعة واحدة ، يدخل وراء الباب ، يتوقف لتوان ، يسمع صرير أصوات فرامل الجيب بالقرب من المكان الذي دخل إليه . وأخيرا شعر بالدفء ! .

يقفز العساكر إلى الأرض ، يصرخ فيهم قائدهم بمحاصرة الحي وتفتيش جميع الشقق . يدخلون إلى المباني المجاورة الواحد تلو الآخر .

القائد ، كل شيء مشيرا إلى مبنى الإذاعة : « أذهبوا من هنا » .

يمر أحد المجندين أمام المحطة ثم يعود على اعقابه ويقرأ في اللوحة . يتجه نحو الباب الذي يفتحه ، يدفع العسكري الباب نحو الداخل ويصل أمام إحدى استديو هات التسجيل للمحطة الجهوية ، وكانت توجد أعلى الباب لوحة مضيئة بالأحمر مكتوب عليها « سكوت نحن نسجل »

يتردد العسكري ، يلقي نظرة عبر كوة الأقفال ليرى اوركسترا تقليدية .

MAISON
ZINEB
"Les Fidayines"
D. MARTINEZ

وبالرغم من المنع ، يفتح الباب ببطء . **تستعيد الكاميرا المشاهد انطلاقا من الاستديو**

ونرى من خلال الزجاج العسكري الفرنسي الذي يتردد ثم يفتح الباب بحذر ، ينظر ثم يتوقف عند العتبة .أوركسترا أندلسية تتكون من حوالي عشرين شخص ، يرتدون جميعا ملابس تقليدية مع شاشية وجلابية بيضاء ، تعزف نوبة كما جرى عليه العرف بعد الافطار . يستدير رئيس الأوركسترا وهو مغتاظ مشيرا إلى اللوحة المضيئ « سكوت نحن نسجل » ينظر العسكري جيدا للأوركسترا ويغادر وهو مطمئنا .

موسيقى أندلسية سبحان ربي .

الأوركسترا . **تجوال أمامي** ، سمح لنا باكتشاف فضيل في الخلف وهو يعزف على آلة الكمان الكبير الذي يخفيه تقريبا بالكامل . كان يتعرق ، والجلابة البيضاء تغطي تقريبا ملابسه العسكرية... **صورة عن قرب** لفضيل وهو يعزف بشكل مذهل وبجدية تبعث على الحيرة . غير أن الكاميرا تظهر احتفاظه بلفافات الساق وحذائه العسكري التي لم يتم الانتباه إليه لحسن الحظ عند الدخول .

اللقطـــة 11

داخل المنزل/الأثر الليلي/ص 7 إلى 18

مذياع يوزع الموسيقى التي تعزفها أوركسترا الإذاعة .

تجوال خلفي للكاميرا يسمح باكتشاف عائلة جزائرية بصدد إعداد وجبة الافطار ، الأب يذكر أو بالأحرى يصرخ « زينب تعالي تفطري »

الأب : « زينب ! ماذا تفعلين إذن ؟ »

الأم : « لقد ذهبت لترى ما إذا كان يرغب في الأكل معنا أو بمفرده »

زينب وهي تسمع والدها يبدي نوعا من نفاذ الصبر .

زينب : « آه ، نعم ، أنا قادمة . » ثم تخاطب رشيد » : إنه والدي ! هل تريد تناول الطعام ؟ »

يرفض رشيد بإشارة منه .

رشيد وزينب

رشيد : « كلا ، كلا ، لا أشعر بالجوع ، بل بالعطش وأحبذ الاسترخاء قليلا هنا ، إن لم يكن ذلك مزعجا »

زينب مستعجلة بنداءات والدها .

زينب : « انتظرني هنا ، سأذهب لأجلب لك الماء لكي تشرب »

الأب بصوت خافت : « زينب ! »

زينب : « لكن .نعم ! »

بقي رشيد وحيدا ، بينما غادرت زينب الغرفة ، كان ينظر حوله ، توجه نحو النافذة الصغيرة للغرفة للفرجة ومراقبة الشارع . لقد بدا قلقا لوجوده في مكان مغلق ، استدار وهو يرتجف قليلا ...

تعود زينب بكأس من الماء وحبات برتقال ، انزلقت هذه الأخيرة من يديه وسقطت . .

زينب وهي تضحك : « ... وبما أني أستخدم يساري » تنحني ويفعل رشيد كذلك ، يجمعان حبات البرتقال معا .

تبتسم زينب ، يرد رشيد على الابتسامة ، وتتفتح أساريره .

تجوال خفيف نحو الخالف من أجل تأطير زينب ورشيد في صورة متلاصقة من جهة الصدر ، ينهضان معا وهما يتبادلان النظرات .

زينب تناول رشيد كأس الماء **(وربع ظهره لها)** .

تنظر إليه زينب وهو يشرب ، تمد يدها لاستعادة الكأس ، تأخذ حبة برتقال وتناولها له .ثم يأخذ حزامه حيث يعيد إليه مسدسه الذي طلبه من زينب . تجوال .زينب تتقدم نحوه . **الدخول في مجال الكاميرا** .

زينب : « إلى أين أنت ذاهب ؟ »

رشيد : « يجب أن أغادر ! أصدقائي في حاجة إلي » .

زينب : « لن تخدمهم في شيء ، إذا ما ألقي عليك القبض ! وفي كل الحالات ، إنه لمن الأفضل أن ترتدي الملابس التي احضرها لك والدي قبل أن تخرج . لا يمكنك البقاء في زي العدو » .

لم يستمع إليها وبقي عند فكرته الثابتة بعدم التخلي عن رجاله . وهو يخطو خطوة نحو الباب . وفي اللحظة التي يصل فيها ، يقع طرق عنيف على الباب . يستدير نحو زينب ، في نهاية الإطار في الطرف المعاكس .

زينب : « هل رأيت ، لقد قلت لك أن لا تستطيع الذهاب » .

اللقطـــة 13

الخارج/ليلا/البيت ص 1 إلى 21

ثلاثة عسكريين هم بالقرب من المنزل ، أحدهم ضابط يعطي الأوامر .

الضابط : « ادخل هنا وأنت هنا ...فتشوا لي هذه المنازل الثلاثة »

يواصل الضرب على الباب بمؤخرة السلاح .

الضابط : « هل ستفتحون الباب ، نعم ؟ »

زينب وهي تفتح الباب : « ها قد فتحنا »

أطلقت شعرها واتخذت موقفا مستفزا نوعا ما . كانت تبتسم بوقاحة .

زينب : « لا داعي للقلق حضرات الكونونيل ، كان بالأحرى عليك أن تتفهم ، إنه رمضان حضرات الكونونيل » .

بدا الضابط ظاهريا مدهوشا بجمال وهيبة زينب ، وبعد عدة نظرات ذات مغزى حول شخص زينب ، أعطى الأمر بالدخول .

الضابط : « ابتعدوا ، لست الكونونيل ! هل تسمحون ؟ »

يدخل . **يتم التركيز عليهما من الأمام** ، زينب تنظر إليه بابتسامة والنقيب يتقدم .

زينب : « ها أنتم في الداخل ، تصرفوا كما يحلوا لكم . كلا ، تدخلون إلى بيوت الناس عند الافطار بدون تقديم أية مبررات » .

يستدير الضابط الذي شعر بالاستفزاز ، ينظر إلى زينب بطريقة تعبر عن الانزعاج والتسلط ثم يهدئ من روعه ويواصل عملية التفتيش .

يتوجه نحو احدى الغرف .

الضابط في حالة توتر وهو في الغرفة حيث تتناول العائلة الافطار .

الضابط يلقي نظرة على أعضاء العائلة . .

هؤلاء يواصلون الأكل ، **تسليط الضوء** على كل واحد منهم .

النقيب : « ابقوا جالسين . . ! مجرد عملية مراقبة » .

الأب : « ألا تناول قدحا من الشربة ؟ »

النقيب : « لا...شكرا » .

زینب

زينب : « قل لي حضرات العقيد ، أو بالأحرى النقيب ، هل لي أن أسألكم عما تبحثون ؟ » .

تجوال أمامي .

النقيب لا يرد ، تلتحق به ، يستدير ، تواصل .

زينب : « هل تريدون أخد أحد معكم ، أبي ، أخ... أم أنا ؟ ، فإذا كان لكم الخيار فإني أفضل أن أكون أنا . ألا ترون أنه لا يوجد شيء ، حسنا ، يمكنكم العودة لدينا متى شئتم . يكفي أن تدقوا بأعقاب بنادقكم فقط » .

لقطة معاكسة

الضابط : « تعتقدين بلا شك أنك على درجة كبيرة من الحدق ، أنصحك بعدم الذهاب بعيدا » .

الضابط في حالة انفعال .

يوجه الضابط نظره نحو البئر ، ينتبه لاتجاه نظرتها ويستدير .

في البئر احدى الحبال تتحرك ، القط حول متاب فوهة البئر ، يقترب الضابط من البئر ، زينب تتبعه .

زينب : « ذات يوم سيسقط هذا القط في البئر ، يمشي على الحافة ، يحلو له القفز من جانب إلى آخر » .

تأخذ القط بين ذراعيها وهي تداعب الحيوان تقوم بلدغه بلطف .

زينب : « هل تحب القطط ياحضرات العقيد ؟ » .

ويقوم القط بالمواء ويقفز من سواعد زينب نحو النقيب ، يتراجع العسكري ، تتركه وحيدا ، يبتعد عن البئر وهو ساخط .بقيت زينب مبتسمة ومتهكمة .

زينب : « إلى اللقاء حضرات الكونونيل » .

يتردد النقيب ثم يحرك كتفيه ويخرج من البيت .

وبمجرد أن أغلقت الباب ، ركضت زينب نحو نافذة تطل على الشارع ، ألقت نظرة وعادت نحو البئر وانحنت .

OFFICIER FRANÇAIS
dans la cour
SEQUENCE 13

ZINEB
OFFICIER FRANÇAIS
SEQUENCE 13
P.10 - P.A

زينب : « يمكنك الخروج ، لقد غادروا » .

ففي داخل البئر ، كان رشيد قابعا في إحدى الفتحات التي صممت خصيصا لنزع الركام ومربوط إلى الحبل ومسدسه مصوب نحو الأعلى ، ثم تسلق خارج البئر .أخذت المسدس من يد رشيد وساعدته على النزول من حواف فوهة البئر .

رشيد : « لقد كاد أن يقترب جدا من البر ، فلو انحنى لكنت أطلقت عليه النار في الوجه » .

زينب : « الله يهديك ، بلا خشونة ، كان عليك الاحتفاظ بهدوئك » .

رشيد يبدو نوعا ما منقبضا .

رشيد : « في هذه الحالة لا يمكن القول أنك فقدت هدوئك ، بل بالعكس ، من حظنا أنه لم يكن من ذلك النوع العنيف وما كان لتمثيلك أن يحول دون قيامه بكسر كل شيء ، فهم يعلمون أن الفلاقة يختبئون في الجوار » .

منظر عام .

زينب تبتسم قليلا ، ثم سرعان ما تنقلب سحنتها ، يذهبان إلى الغرفة حيث كانا يتواجدان سابقا .

زينب : « لقد تعودت على تسيير القلق عند اجتياز الحواجز وأنا أحمل قنبلة أو مسدس مثل الذي بحوزتك لتسليمه إلى أحد الفدائيين .إنني أعمل مع شبكات للدعم » .

يدخلان إلى تلك الغرفة ، تدعوه زينب إلى الجلوس .

رشيد : « قل لي إذن ، أنت لك أعصاب من فولاذ ! »

زينب : « أفعل أي شيء من أجل بلادي ، إن حلمي هو الصعود للجبل » .

رشيد : « الجبل ليس بالأمر المثالي بالنسبة لامرأة ، مشكلتي الآن هي أن أكون على الساعة الثامنة ليلا في سيدي الحلوي » .

sequence
13
D. MARQUEZ

زينب وهي تطمئنه : « لدينا الوقت أمامنا سأرافقك بنفسي .أعرف المكان جيدا ، إنه مخبأ نستخدمه أحيانا .وفي انتظار ذلك ، استرح وتناول بعض الطعام » .

تغادر زينب الغرفة وتتجه نحو والديها

وصلة غير واضحة

اللقطـــة 14

خارجية/ليلا/جو المدينة ص من 1 إلى 20

في شارع منتعش ، لقطة تكشف زينب ورشيد ، ثم **تجوال خلفي للكاميرا** .

زينب ترتدي الحايك ورشيد في زي مدني ، بالكاد نتعرف عليه ، يرتدي الملابس التي وفرها له والد زينب التي ارتدى فوقها جلابة تخفي مسدسه والبندقية الرشاش التي استعادها من عسكري فرنسي .

يبدو رشيد متوترا وحذرا .

سيغادر قريبا المدينة مارا من خلال الشوارع الخالية والمظلمة أيضا .

نسمع صخبا لسيارة جيب تسير ببطء .

زينب : « ماذا تريد أن تفعل ؟ » .

رشيد : « سنعود ،ليس من أجلي ربما ،لكن لا ندري ، سنحاول التخلص منهم » .

يأخذان شارعا آخر ويبتعدان ، تبتعد عربة الجيب أيضا .

رشيد : « إنهم يواصلون متابعتنا ، علينا أن نقوم بإلهائهم » .

تجوال خلفي ، رشيد يواصل الحديث إلى زينب .

رشيد : « إنهم ورائنا منذ لحظة ، انصت إلي ، ستذهبين إلى غاية الحديقة الموجودة قبالة محطة البنزين .إنهم بالقرب والمسبل ينتظر في الحديقة » .

إنهم يتقدمون بسرعة في هذه الأثناء .

زينب : « لا أريد الذهاب بدونك !

رشيد : « اصمتي ، ليس هناك وقت نضيعه ، انطقي بكلمة المرور هذه (غروب الشمس على النسور) وقل لهم عليهم بالذهاب لدى عمي قادة في عين الحوت ، سيأتي بهم » .

زينب : « تعال معي لن يتمكنوا منك » .

رشيد : « إفعلي ما أمرتك به ، لن أخاطر برؤيتهم يتبعوننا إلى غاية مكان الموعد ، سألتحق بك بطرقي الخاصة » .

ينظر رشيد في جميع الاتجاهات .

زينب : « لا أريد الذهاب بدونك » .

يصلان إلى احدى مفترقات الطرق ، يدفع زينب ويسير في الاتجاه المعاكس .

تشتعل أنوار عربة الجيب وتتبع رشيد الذي يختفي في الظلام في زاوية الحوض الكبير .

يقفز رشيد في حارة الحوض الكبير ويطلق النار على الأنوار التي ينجح في إصابتها ليصبح الظلام تاما .

يشتعل مصباح جانبي مثبت على الجيب يتبع خطى رشيد ، تحاصره هالة الضوء ، يسمع دوي رشقة طويلة من الرصاص ، ينبطح أرضا ، يجري العساكر نحوه . رشيد متمددا ، يدندن ويتمتم بنشيد من جبالنا .يقلب العسكريون جثته ويتساءلون حوله .

العسكري الأول : « من هو هذا ؟ » .

العسكري الثاني : « كيف نعرف ذلك ! متمرد بصدد تحضير عملية سيئة .لن يكون أحد رجال الدورية الكاذبة الذين نبحث عنهم ؟ » .

العسكري الأول : « سنأخذه معنا إلى الثكنة لنرى ما إذا كنا سنستخرج منه شيئا » .

يأخذون الجثة بدون عناء ويضعونها في مؤخرة عربة الجيب .

تظهر زينب بدون حايك وهي مرتدية تنورة وهي مرعوبة في الظاهر ، تقترب من المجموعة ، تلقي نظرة على رشيد ممددا في مؤخرة الجيب .

زينب : « ماذا جرى ؟ » وتواصل موجهة كلامها للعساكر .

زينب : « كنت عائدة إلى البيت وسمعت طلقات رصاص ، انتابني الخوف » .

العسكري الثاني يتمتم في أذن زميله .

العسكري الثاني : « قل لنا إذن ، هل كانت معه امرأة في البداية » .

العسكري الأول : « نعم ، امرأة مرتدية الحايك » .

العسكري الثاني مخاطبا زينب : « كان بإمكانها نزع غطاءها » .

العسكري الأول : « لماذا تريد أن تعود لكي تقع بين أيدينا ، إذا كانت فعلا معه ، كان بإمكانها أن تنقذه » .

ثم يتوجه إلى زينب مخاطبا إياها .

العسكري الأول : « هل تعرفين هذا الرجل ؟ » .

زينب : « لا لم أره من قبل » قالت ذلك وهي تنظر إلى رشيد الممدد في مؤخرة عربة الجيب .

العسكري الأول : « سنقوم بإشعار مقر القيادة » .

وبعد اتصال متبادل مع مقر قيادتهما بالراديو ، قاما بالتثبت من أوراق هوية زينب .

العسكري الأول : « إنهم يطلبون نقل هذا الشخص على وجه السرعة إلى القاعدة » .

العسكري الثاني : « يمكنك العودة إلى بيتك وعند الحاجة سنعرف أين يمكن العثور عليك » .

يصعد الجميع في عربة الجيب . أخذت زينب مكانها خلف الجيب ولم تكن تتجرأ على الاقتراب من رشيد .

كانت تراه وهو يحتضر وأصبعه يرتفع للشهادة ورأسه يعاود السقوط على الجانب وعندها فهمت أنه لفظ أنفاسه .

أقلعت الجيب تاركة زينب جامدة في نفس المكان . وبينما كانت الجيب تبتعد سقطت دمعة على خدها .

تعبر عربة الجيب إحدى المفترقات وتخرج من مجال الكاميرا . تسمح حركة تركيز من الكاميرا على حايك مثبت على شجرة .

خـــاتـــمة

أمام مدخل الحديقة ، الكائنة أمام محطة البنزين ، نشاهد زينب مترددة ، قامت باللف والدوران عدّة مرّات لتتأكد من عدم تتبعها ، غير أن القلق كان يحتضنها ، تقترب من رجل كان يرتدي جلابة ثم تغامر بالنطق بكلمة المرور .

زينب : « غروب الشمس على النسور » .

إنه المسبل . ينهض وبدون النطق بكلمة يتوجه نحو المخبأ الذي تعرفه زينب جيدا . كان يبدو مرتاحا لعدم وقوعه في فخ . فلم يكن هناك أي عسكري فرنسي في الأفق . حالما تدخل نسمع ضوضاء خفيفة . ها هم الرجال يشعرون أخيرا بالارتياح لسماع أخبار جديدة . لقد نجح رابح ، صابري وسعدان ، فضيل ومحفوظ في الإفلات من

مطارديهم . طالب منها الرجال بعد قليل ما إذا كانت تملك معلومات عن رشيد . بما أن مسلي هو من استقبل زينب في الحديقة ، أشار لهم بعدم القيام بالكثير من الضوضاء .

لقد روت لهم كامل القصة منذ هروبه إلى غاية وفاته .

زينب : « لقد رأيته يلفظ أنفاسه الأخيرة » .

رابح : « لقد مات قائدنا رشيد كبطل ولا يمكنهم استنطاقه .الله يرحم الشهداء .

هل لدى أحدكم أخبارا عن حسين ، نأمل أن لا يكون متعبا وأن يلتحق بنا في أقرب وقت . سنذهب إلى عين الحوت . فالجيش الفرنسي بانتظارنا في الاتجاه الآخر ، فهو يعتقد أننا سنلتحق بالغابة مرورا بالجبل .

إنهم لن يتمكنوا منا في السهل وهناك يمكننا الاختباء لدى مناضلينا في انتظار الالتحاق بالجبل » .

زينب : « و أنا ؟ » .

رابح : « ماذا عنك » .

زينب : « لقد دونوا عنواني ويحتمل أن يأتوا للبحث عني غدا » .

رابح : « أختي ، لك أن تقرري ، إما البقاء أو المجازفة بالتوقيف والتعذيب أو بالالتحاق بالجبل . إن جيش التحرير الوطني في حاجة إلى جميع الجزائريين والجزائريات » .

لم تتردد زينب ثانية واحدة .

زينب : « سأتبعكم » .

مسلي : « هل فكرت في عائلتك ؟ لكنني أحترم قرارك بالرغم من أنني غير موافق . سأذهب لأحيطهم علما . سأحاول الدخول قبل حظر التجوال هذا المساء من أجل أن يتخذوا احتياطاتهم » .

رابح : « ابقوا في تخشيبة هذه المحطة وهي ملك لأحد مناضلينا الأوفياء وغدا عند الفجر سنتجه نحو نقطة تجمعنا » .

وعند الفجر وبينما كان المتواطئين الستة يسيرون في الريف ، شاهدوا على صدر مطبوعة صدى وهران عنوانا : الإرهابيون يضربون في قلب تلمسان .

تنتهي موسيقى الجنيريك بـ « ياطويل الرقبة »

الفهرس

1. المقدمة 9

2. فنان تشكيلي في فيلم 15

3. صوري وذكرياتي في قلب معركة تلمسان 45

4. صور ووجوه، في قلب معركة تلمسان 57